١ ـ في الجزيـرة العربيـة:

أ ـ الحالـة السياسـية

الملـك باليمـن:

إن من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم. ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم بأحد عشر قرنا. وفي سنة ثلثمائة الميلادية غلبت على ملكهم قبيلة حمير، ثم بدأت اليمن في دور الانحطاط، وأخذت القبائل القحطانية في الهجرة إلى البلاد المختلفة.

وتوالت عليهم الاضطرابات والحروب الأهلية في المائتين والسبعين سنة التي سبقت دخـول الإسـلام اليمن، مما أتـاح للأجـانب القضـاء على استقلالهم. فدخلت الرومان عدن، وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة، سنـة ٣٤٠ م، مستغلين التنـافس بين قبيلتي همدان وحمـير، واستمر احتـلالهم إلى سنـة ٣٧٨ م. ثم نالت اليمن استقلالها، ولكن سلط الله عليهم سيل العرم سنة ٤٥٠ م أو ٤٥١ م فهدم سد مأرب الذي جعله الله مصدر نعمة ورخاء لهم(٩٤). وكل ذلك بسبب عتوهم وفسادهم وانحرافهم. وهذه سنة الله في ذلك.

وفي سنة ٥٢٣ م قام ملكهم ذو نواس بحملة ضد المسيحيين لصرفهم عن دينهم، فلما أبوا، حفر لهم أخدودا، وأوقد فيه نارا، فقذفهم فيها، وهم الذين حكى الله تعالى خبرهم في الآيات: ﴿قتل أصحاب الأخدود. النار

---

(٩٤) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/٢٠٥).

ذات الوقود. . . .﴾[٩٥] وكان ذلك سببا في تحريض الروم الأحباش ليحتلوا اليمن للمرة الثانية بقيادة أرياط سنة ٥٢٥م، وظل حاكما على اليمن إلى أن اغتاله أبرهة ـ أحد قواد جيشه. وحكم مكانه بعد أن نال رضى ملك الحبشة. وقام أبرهة بمحاولة هدم الكعبة بمكة، ولكن الله رده بقوته، كما حكى ذلك القرآن الكريم في سورة الفيل.

واستنجد اليمانيون بالفرس فأعانوهم على إجلاء الأحباش سنة ٥٧٥م، بقيادة معديكرب بن سيف بن ذي يزن الحميري، وملكوه عليهم. وكان قد أبقى جمعا من الحبشة لخدمته، فاغتالوه، وبموته انقطع الملك عن بيته، وولى كسرى عاملا فارسيا على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية. وكان آخر ولاتهم باذان، الذي اعتنق الإسلام، وبإسلامه انتهى نفوذ الفرس في بلاد اليمن[٩٦]، وكان إسلام باذان في جمادي الأولى سنة سبع من الهجرة/ ٦٢٨م)[٩٧].

الملك بالحيـــرة:

حكمت الفرس العراق وما جاورها منذ أن جمع شملهم قوروش الكبير (٥٥٧ ـ ٥٢٩ ق. م) ثم فرق شملهم الاسكندر المقدوني سنة ٣٢٦ ق. م عندما هزم ملكهم دارا الأول، ودخلت البلاد في حكم الطوائف إلى سنة ٣٣٠م. وفي عهد هؤلاء الملوك هاجر القحطانيون وسكنوا جزءا من ريف

---

(٩٥) البروج: ٤ ـ ٨.
وقد روى طرفا من قصتهم اليعقوبي في تاريخه (١/ ١١٩)، دار صادر ودار بيروت، بيروت. ١٣٧٩/ ١٩٦٠.

(٩٦) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٠)، والدكتور محمد جمال الدين سرور: قيام الدولة العربية في حياة محمد ﷺ، ص ص ٢٥ ـ ٣١، والرحيق المختوم، ص ص ٢٨ ـ ٣٠، ونقله مؤلفه المباركفوري عن: تفهيم القرآن (٤/ ١٩٥ ـ ١٩٨) وتاريخ أرض القرآن الكريم (١/ ١٣٣) وما بعدها). وقال: وفي تعيين السنين اختلاف كبير بين المصادر التاريخية، وقد قال بعض الكتاب عن هذه التفاصيل: «إن هذا إلا أساطير الأولين». وانظر، ابن كثير: البداية (١/ ١٧٤ ـ ١٩٨) وكلها من طريق ابن إسحاق، إلا النزر اليسير جدا فهو من غير طريقه. وهي إما معلقة أو منقطعة أو مرسلة، أما ما ثبت بالقرآن فلا جدال فيه.

(٩٧) ابن سعد: الطبقات الكبرى (١/ ٢٦٠) من طريق شيخه الواقدي، وهو متروك في الحديث، الطبري: التاريخ (٢/ ٦٥٦) من رواية الواقدي أيضا.

العراق. ثم لحقهم من هاجر إلى العدنانيين فزاحموهم حتى سكنوا جزءا من الجزيرة الفراتية.

وجمع أردشير الفارسي ـ مؤسس الدولة الساسانية منذ سنة ٢٢٦م ـ شمل الفرس وسيطر على العرب المقيمين على تخوم مملكته، وكان ذلك سببا في رحيل قضاعة إلى الشام، ودان له أهل الحيرة والأنبار، ولصعوبة حكم المناطق البعيدة رأى أن ينصب عليهم ملكا منهم اسمه جذيمة الوضاح، ويعينه بكتيبة من الفرس، ليقفوا جميعا في وجه مطامع الروم وعرب الشام، الذين اصطنعهم الروم. واشتهر من ملوك الحيرة النعمان بن المنذر. وهو الذي خاض حربا ضد ملك الفرس، وهزم جيش الفرس في موقعة ذي قار، بعد ميلاد الرسول ﷺ. وهو أول يوم انتصرت فيه العرب على العجم[٩٨]، وقيل إن الرسول ﷺ قال عنه: «هذا أول يوم انتصف العرب فيه من العجم، وبي نصروا»[٩٩].

الملك بالشام:

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاعة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليح بن حلوان، الذين منهم بنو ضجعم بن سليح، المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكا، ثم تعاقب الملك فيهم زمانا إلى أن غلبهم عليه الغساسنة. وظل الغساسنة في الملك من قِبَل الروم إلى أن كانت وقعة اليرموك سنة ١٣ هـ (٦٣٤م). ودخل في الإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم، في عهد عمر (رضي الله عنه)[١٠٠].

---

(٩٨) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ١٧١ ـ ١٧٤)، واليعقوبي: التاريخ (١/ ٢١٤ ـ ٢١٥) والأسانيد ضعيفة.

(٩٩) الطبري: التاريخ (٢/ ١٩٣) بدون إسناد، وانظر القصة بكاملها فيه، واليعقوبي: التاريخ (١/ ٢١٥) بدون إسناد. فالأسانيد ضعيفة.

(١٠٠) انظر: اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧)، وابن الوردي: التاريخ: (١/ ٦٣)، وأبوالفدا: المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة، بيروت د.ت، (١/ ٧٢ ـ ٧٣) والدكتور سرور: قيام الدولة العربية الإسلامية، ص ٣٥ ـ ٤٠، والمباركفوري: الرحيق المختوم، ص ٣٢ وجميعهم بطرق ضعيفة.

الحجـــاز:

لم يقم بالحجاز كيان سياسي موحد يمكن أن يسمى بالدولة، وإنما قامت بها مدن، لكل منها نظامها السياسي الذي هو أقرب إلى المشيخة منه إلى نظام الملك. ومن أشهر المدن: مكة ويثرب والطائف.

أ ـ مكـــة:

تناولت فيما سبق طرفا من تاريخ نشأة مكة. وذكرنا أصل سكانها، وهم جرهم، وقيل كان قبلهم العماليق، الذين كانوا يسكنون خارجها، أي من حولها[١٠١].

لم تحافظ جرهم على حرمة الحرم بعد إسماعيل، فكثر في أيامهم البغي والفساد. واغتصب كثير منهم مال الكعبة الذي كان يهدى إليها. ويقال إن ماء زمزم نضب في عهدهم، كما أن البئر نفسها زالت معالمها. وعندما تفرق بعض عرب اليمن بعد سيل العرم، هاجر ثعلبة بن عمرو بن عامر مع قومه إلى مكة، ولم تقبلهم جرهم، ودارت بينهم حرب انتهت بهزيمة جرهم.

وعندما مرض ثعلبة، رحل إلى الشام، وولى أمر مكة وحجابة الكعبة ابن أخيه ربيعة بن حارثة بن عمرو وهو لحي، وعرف قومه بخزاعة. وقد انحاز إليهم بنو إسماعيل بن إبراهيم. وكانوا قد اعتزلوا الحرب التي دارت بين جرهم وثعلبة[١٠٢].

ظلت خزاعة تلي أمر البيت الحرام نحواً من ثلثمائة سنة وقيل خمسمائة سنة. وكانت قريش إذ ذاك متفرقة في بني كنانة حتى تزعمها قصي بن كلاب ووحد بطونها، وخاض حربا ضد خزاعة حول ولاية البيت. وأعانته قضاعة في حربه. وتدخلت قبائل العرب، وانتهت الحرب بالتحكيم الذي نتج عنه أحقية قصي بولاية الكعبة. ومنذ ذلك اليوم ارتفعت مكانة قريش بين

---

(١٠١) الأزرقي: أخبار مكة، مرجع سبق ذكره، (١/ ٥٤). إسناده ضعيف.
(١٠٢) انظر: الأزرقي: أخبار مكة (١/ ٩٠-٩٦)، وابن إسحاق - بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٦٠ - ١٦١) فالأسانيد ضعيفة.

العرب[١٠٣].

قام قصي بتقطيع مكة رباعا بين قومه، فأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة، وكانت له جميع الرئاسات من حجابة وسقاية وسدانة ولواء. وبنى دارا لإزاحة الظلمات وفصل الخصومات، سماها دار الندوة، وكان يرأس اجتماعاتها ويدير شؤونها. وفرض على قريش خرجا سنويا يؤدونه إليه لينفق منه على إطعام فقراء الحجاج.

وعندما كبر قصي فوض أمر هذه الوظائف والرئاسات إلى أكبر أبنائه ـ عبدالدار. ولما مات عبدالدار وإخوته: عبد مناف وعبد شمس وعبد، اختلف أبناؤهم في هذه الرئاسات، وافترقوا إلى فرقتين، ففرقة بايعت بني عبدالدار وفرقة بايعت بني عبد مناف، ووضع حلف بني عبد مناف أيديهم عند الحلف في جفنة فيها طيب، ثم لما قاموا مسحوا أيديهم بأركان الكعبة فسموا حلف المطيبين. أما بنو عبدالدار ومن حالفهم، فقد أخرجوا جفنة مملوءة دما، وفعلوا مافعله بنو عبد مناف عند الكعبة، وسموا الأحلاف.

ثم أخيرا اصطلح الفريقان على أن تكون الرفادة والسقاية لبني عبد مناف، وأن تستقر الحجابة واللواء والندوة في بني عبدالدار[١٠٤] وقسمت الرئاسات التي نالها بنو عبد مناف بين هاشم وأخيه عبد شمس، فكانت السقاية والرفادة لهاشم، والقيادة لعبد شمس[١٠٥].

وعندما علت مكانة هاشم بين قومه حسده ابن أخيه أمية بن عبد شمس، وحاول أن ينافسه في إطعام الحجاج فعجز، فشمت به بعض قومه فزاد حسده وحقده على عمه.

وولي السقاية والرفادة المطلب بعد وفاة أخيه هاشم، ثم عندما مات

---

(١٠٣) الأزرقي: المصدر نفسه (١/ ١٠٣ ـ ١٠٧)، وابن إسحاق ـ بدون إسناد (ابن هشام ١/ ١٦٤ ـ١٦٥و ١٧١ ـ ١٧٢)، ابن كثير: البداية (٢/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) من رواية ابن إسحاق ـ بدون إسناد. فالأسانيد ضعيفة.

(١٠٤) انظر: ابن إسحاق ـ بدون اسناد (ابن هشام ١/ ١٧٢ ـ ١٨١)، وابن كثير: البداية (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٨)، ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ١٦٠)، الأزرقي: أخبار مكة (١/ ١٠٧ ـ ١١٠) وكلها اسانيد ضعيفة.

(١٠٥) الأزرقي: المصدر نفسه (١/ ١١٠ ـ ١١١، ١١٥) بأسانيد ضعيفة.

المطلب خلفه ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم، ثم عندما مات خلفه ابنه العباس بن عبدالمطلب. وقد أبقاهما الرسول ﷺ في يده بعد فتح مكة.

أما بنو عبدالدار فقد توارثوا الحجابة واللواء ورئاسة دار الندوة. وقد أبقى الرسول ﷺ الحجابة بايديهم عندما فتح مكة ودفع بمفتاح الكعبة إلى عثمان ابن طلحة، وهي فيهم إلى اليوم. وقيل إن الآية: ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾[١٠٦] قد نزلت بهذا الخصوص[١٠٧]. ولم يستبعد الطبري[١٠٨] ذلك، وساق أقوالا أخرى في ذلك.

يثـــرب:

كان أول من سكنها العمالقة، ثم تغلبت عليهم بعض القبائل اليهودية، فأقاموا بها، خاصة في القرنين الأول والثاني الميلاديين، إثر الحروب التي شنها الرومان ضد اليهود بسورية، فتفرقوا في البلاد، فلجأت قبائلهم وعلى رأسهم بنو النضير وبنو قريظة إلى يثرب. وأقاموا بها حتى نزح إليهم من بلاد اليمن قبائل الأوس والخزرج عندما تهدم سد مأرب[١٠٩].

عاش اليهود والأوس والخزرج في وئام فترة من الزمان، وتحالفوا ليأمن بعضهم بعضا. وعندما قويت شوكة الأوس والخزرج تنمر اليهود عليهم ونقضوا الحلف الذي بينهم، فاستنجد العرب ببني عمومتهم الغساسنة، فأنجدوهم أنفة من تسلط اليهود عليهم[١١٠].

وكذلك عاش الأوس والخزرج في وئام في بداية أمرهم، ثم وقعت بينهما حروب طويلة، كان النصر في أغلب الأحيان للخزرج. ولهذا حاولت الأوس محالفة قريش ضد الخزرج، فلم تفلح، فلجؤوا إلى الحلف مع بني قريظة

---

(١٠٦) النساء: ٥٧.

(١٠٧) روى ذلك الطبري في التفسير (٨/ ٤٩١ - ٩٣/ تحقيق أحمد شاكر)، موقوفا على ابن جريج وفي إسناده ضعف.

(١٠٨) التفسير (٨/ ٤٩٣/ تحقيق أحمد شاكر) وسيأتي الكلام على إسناد ذلك في فتح مكة. وانظر: الأزرقي (١/ ٦٤ - ٦٥). بإسناد ضعيف.

(١٠٩) انظر: المقريزي: إمتاع الأسماع (١/ ١٠٥)، الأصبهاني: الأغاني (١٩/ ٩٤).

(١١٠) القلقشندي: صبح الأعشى (٤/ ٢٩٤).

والنضير. وسمعت الخزرج بهذا فأرسلت تستوضح الموقف، فأفادتهم يهود بأنها لا ترغب في الحرب، فأرادت الخزرج أن تتأكد من هذا، فطلبت منهم أربعين غلاما، ليتخذوهم رهائن لديهم، وعندما استجابوا لهم، خيروهم بين الجلاء عن يثرب أو قتل الغلمان، فآثروا الخروج من ديارهم، غير أن كعب بن أسد القرظي أقنعهم بالبقاء والتضحية بالرهائن، فقتل الخزرج الغلمان، فغضب يهود وجاهروا بحلفهم مع الأوس، ووقفوا معهم في موقعة بعاث، فانتصر الأوس، بعد أن أوقعوا في الخزرج مقتلة عظيمة. ثم تصالح الفريقان، واتفقا على إقامة حكومة تعمل على استقرار الأمور بيثرب، برئاسة عبدالله بن أبي بن سلول الخزرجي[١١١] وبينما كانوا يستعدون لذلك قدم الرسول ﷺ المدينة مهاجرا، فدان الجميع لسلطان الإسلام. ولم يجد ابن أبي سلول بدا من الدخول في الإسلام ظاهرا بعد موقعة بدر، ودلت مواقفه بعد ذلك على نفاقه كما سيأتي بيانه. وهو ممن اتفق على نفاقه بين أهل الحديث والتفسير والمغازي والسير. أما زعيم الأوس: أبوعامر بن صيفي بن النعمان، والد أبي حنظلة الغسيل، فقد أبى إلا الكفر فخرج إلى مكة، ثم إلى الطائف، ثم إلى الروم بالشام، محاولا في كل أطوار حياته القضاء على الإسلام. وكان قد ترهب في الجاهلية، فسموه الراهب، فقال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا الراهب، ولكن قولوا الفاسق».[١١٢]

الطائف:

كانت الطائف تعرف باسم «وج»، نسبة إلى وج بن عبدالحي، أحد العمالقة الذين سكنوها. رحلت إليها قبيلة هوازن من وادي القرى، وتزوج زعيمها قسب بن منبه بن بكر بن هوازن بابنة زعيم وج عامر العدواني، واشتهر قسب باسم ثقيف فيما بعد...، وعندما تكاثروا بنوا سورا يكون

---

(١١١) السمهودي: وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، ص ص ٢١٥ - ٢١٩.

(١١٢) انظر: ابن إسحاق - بإسناد مرسل (ابن هشام ٣/٩٧ - ٩٨)، الواقدي (١/٢٢٣)، ابن سعد (٢/٤٠) - معلقا، السمهودي: وفاء الوفا، ص ص ٢١٨ - ٢١٩، بدون إسناد. وهذا يعني أنها كلها من طرق ضعيفة.

حصناً، وأطلقوا عليه الطائف، لإطافته بهم، ومن ثم عرفت هذه المدينة بالطائف بدلا من وج[113].

وعندما ظهر الإسلام كانت ثقيف تنقسم إلى فرقتين: الفرقة الأولى هم بنو مالك والثانية الأحلاف. وكانت بينهم شحناء أدت إلى حرب بينهما، انتصر فيها الأحلاف وأخرجوا بني مالك إلى واد وراء الطائف. ثم رأى بنو مالك أن يعززوا موقفهم العسكري بالتحالف مع بعض القبائل، فحالفوا دوسا وخثعما وغيرهما على الأحلاف. ولكن لم تقع بينهم بعد ذلك حروب ذات بال[114].

ب ـ الحالة الدينية عند العرب في الجزيرة العربية:

استمرت خزاعة على ولاية الكعبة نحوا من ثلثمائة، وقيل خمسمائة سنة. وكانوا قوم سوء في ولايتهم، وذلك لأنه كان في زمانهم أول عبادة الأوثان بالحجاز، بسبب رئيسهم عمرو بن لحي[115]، الذي زار الشام ووجد العماليق بمؤاب من أرض البلقاء يعبدون الأصنام، وقالوا له إنهم يعبدونها لأنهم يستمطرونها فتمطرهم ويستنصرونها فتنصرهم. فطلب صنما فأعطوه صنم هبل، فجاء به مكة ونصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه، لأنه كان سيدا مطاعا فيهم. وعندما بدأ بنو إسماعيل يتفرقون في البلاد أخذوا يحملون معهم من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالبيت، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم، وخلفت الخلوف ونسوا ماكانوا عليه من دين إبراهيم[116]. وكثرت فيهم الأصنام، فكان «ود» لبني كلب بن مرة بدومة الجندل، و«سواع» لبني هذيل بمكان يسمى رهاط، على ثلاث ليال من مكة، و«يغوث» لبني أنعم

(١١٣) البكري: معجم ما استعجم (١/ ٧٦ ـ ٧٧)، ياقوت الحموي: معجم البلدان (٦/ ١٢ ـ ١٣). والأسانيد ضعيفة.

(١١٤) انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ (١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤). بإسناد ضعيف.

(١١٥) روى مسلم (٤/ ٢١٩١/ ح ٢٨٥٦) أن رسول الله ﷺ قال: «رأيت عمرو بن لحي يجر قصبة في النار» وذلك لهذا الفعل الشنيع.

(١١٦) ابن كثير: البداية (٢/ ٢٠٥)، اليعقوبي: التاريخ (١/ ٢٥٤)، ابن الوردي: التاريخ (١/ ٦٥). وأسانيدهم ضعيفة.

من طيء ولأهل جرش من مذحج اليمنية، وكان منصوبا بجرش، و«يعوق» لبني خيوان الهمدانيين، و«نسر» لقبيلة ذي الكلاع الحميرية[١١٧].

وهذه الأصنام هي التي عبدها قوم نوح، وحكى خبرها القرآن الكريم، قائلا ﴿وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا، وقد أضلوا كثيرا. . .﴾[١١٨]، فعندما فارق ولد إسماعيل وغيرهم دين إبراهيم عبدوا هذه الأصنام[١١٩].

وكان لخولان صنم يدعى «عم أنس» وقيل «عميا نوس»، يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله ـ فيما يزعمون ـ وفيهم أنزل الله تعالى: ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا﴾[١٢٠]. وكان لبني ملكان بن كنانة صنم يقال له «سعد». وكان لدوس صنم لعمرو بن حممة الدوسي. وكان لقريش مع هبل صنما: «إساف» و«نائلة»، على موضع زمزم، ينحرون عندهما. قالت عائشة (رضي الله عنها): «مازلنا نسمع أن إسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا في الكعبة فمسخهما الله (عز وجل) حجرين»[١٢١]. . .

واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه، وكان آخر ما يفعلونه عند الشروع في السفر وأول ما يفعلونه حين العودة منه، التمسح بالصنم. فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد، عابوا عليه ذلك وقالوا: ﴿أجعل الالهة إلها

---

(١١٧) ابن إسحاق ـ بدون اسناد ـ ابن هشام (١/١٢٣ ـ ١٣٢). ولهذا فهو ضعيف.

١١٨) نوح: ٢٣ ـ ٢٤. وانظر قصة تاريخ هذه الأصنام عند اليعقوبي: التاريخ (١/٢٥٥)، وعند أبي الشيخ في كتابه «العظمة»، وابن حجر: الفتح (١٨/٣١٢-٣١٤/ شرح الحديث ٤٩٢٠)، البخاري/ الفتح (١٨/٣١٢ ـ ٣١٤/ ح ٤٩٢٠). وعنده أن «يغوث» كانت لمراد، ثم لبني غطيف عند سبأ، وهو الأصح عندنا لأن قول ابن إسحاق إن يغوث كانت لبني أنعم من طيء. . . فيستبعد الجمع بين مناطق طيء وهي في الشمال ومذحج باليمن.

(١١٩) وخلاصة القول ـ كما روى البخاري/ الفتح (١٨/٣١٣/ح ٤٩٢٠) وغيره ـ في أصنام قوم نوح أنها كانت أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجلسهم التي كانوا يجلسون عليها أنصاباً وسموها بأسمائهم. ففعلوا، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت، فلما كان أيام الطوفان دفنها الطين والتراب والماء فلم تزل مدفونة حتى أخرجها الشيطان إلى مشركي العرب.
انظر: ابن حجر: الفتح (١٨/٣١٢).

(١٢٠) الأنعام: ١٣٦.

(١٢١) رواه ابن إسحاق ـ بإسناد حسن ـ (ابن هشام ١/١٢٧).

واحداً، إن هذا لشيء عجاب﴾[١٢٢].

وفي الصحيح عن أبي الرجاء العطاردي، قال: «كنا في الجاهلية إذا لم نجد حجرا جمعنا جُثوة من التراب وجئنا بالشاة فحلبناها عليه، ثم طفنا بها»[١٢٣].

وروى ابن كثير[١٢٤] عدة أحاديث صحيحة تدل على ما ابتدعه عمرو ابن لحي في الدين واتبعه العرب في ذلك، فضلوا ضلالا بعيدا، من ذلك رواية الشيخين[١٢٥]: «قال رسول الله ﷺ: رأيت عمرو بن عامر الخزاعي [أي عمرو بن لحي] يجر قصبة في النار، كان أول من سيب السوائب...» ورواية ابن إسحاق[١٢٦] الأكثر تفصيلاً وبإسناد صحيح، ولفظها: «... إنه كان أول من غير دين إسماعيل، فنصب الأوثان، وبحر البحيرة، وسيب السائبة، ووصل الوصيلة، وحمى الحامي». وقد أنكر الله تعالى عليهم ذلك في أكثر من آية، فقد قال (عز وجل): ـ ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب...﴾[١٢٧].

قال ابن عباس[١٢٨]: إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام...» ففيها خلاصة عبادة العرب وما نتج عن ذلك من ممارسات اجتماعية ضارة.

ولم يبق من دين إبراهيم إلا القليل، مثل تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة، والوقوف بعرفات والمزدلفة وإهداء البدن مع إدخالهم في هذا ما ليس منه. فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا بالحج أو العمرة قالوا: «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك، إلا شريك هو لك، تملكه ومامللك»، فيوحدونه

---

(١٢٢) سورة ص: آية ٥.
(١٢٣) البخاري (٨/ ٩٠)، ابن كثير: البداية (٢/ ٢٠٥).
(١٢٤) البداية (٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٧).
(١٢٥) البخاري/ الفتح ١٧/ ١٥٦ ـ ٥٨/ح ٤٦٢٣، ٤٦٢٤)، مسلم (٤/ ٢١٩٢/ح ٢٨٥٦).
(١٢٦) ابن اسحاق بإسناد حسن ـ (ابن هشام ١/ ١٢١).
(١٢٧) النحل: ١١٦، وانظر: المائدة: ١٠٣، والنحل: ٥٦، والأنعام: ١٣٦ ـ ١٤٠ وذكرها ابن كثير في البداية (٢/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨).
(١٢٨) الطبري: التفسير (١٢/ ١٥٥/ شاكر/ ح ١٣٩٥٣) والآية هي الأنعام: ١٤٠.

بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده[١٢٩]. وكانوا يطوفون بالبيت عراة وهم يصرخون.

واتخذت العرب طواغيت مع الكعبة. وهي بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، ويهدى لها، ويطاف بها، وينحر عندها. فكانت لقريش وبني كنانة «العزى» بنخلة، وكان سدنتها وحجابها من بني شيبان، من سليم، حلفاء بني هاشم. وكانت «اللات» لثقيف بالطائف. وكان سدنتها وحجابها من بني معتب، من ثقيف. وكان «مناة» للأوس والخزرج ومن دان بدينهم، بناحية المشلل بقديد. وهذه الأصنام هي التي أشار إليها القرآن الكريم في الآية ﴿أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى...﴾[١٣٠]. وكان «ذو الخلصة» لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة، وكان يقال له «الكعبة اليمانية»، ويقال لبيت مكة «الكعبة الشامية». وكان «فلس» لطيء ومن يليها بجبلي طيء بين أجا وسلمى. وكان «رئام» بيتا لحمير وأهل اليمن وكانت «رضاء» بيتا لبني ربيعة ابن كعب. وكان «ذو الكعبات» لبكر وتغلب ابني وائل وإياد بسنداد[١٣١]

وكان للعرب أصنام أخرى غير التي ذكرنا، حفلت بذكرها المصادر المختلفة[١٣٢].

وهناك روايات طريفة عن موقف بعض العرب من أصنامهم. من ذلك ما روي من أن السائب بن عبدالله كان له حجر نحته بيده ليعبده، فيجيء

---

(١٢٩) ابن اسحاق، بدون إسناد. انظر: ابن هشام (١/١٢٢). وخبر ادخال الشرك في التلبية رواه البزار بإسناد حسن. ولفظه: وكان الشيطان يحدث الناس بالشيء، يريد أن يردهم عن الإسلام حتى أدخل عليهم في التلبية: لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك: إلا شريك هو لك: تملكه وما ملك. فما زال حتى أخرجهم من الإسلام إلى الشرك. انظر: كشف الأستار (٢/١٥). وقال الهيثمي في المجمع (٣/٢٢٣) رجاله رجال الصحيح. ويقول الشيخ طرهوني (١/٣١٥/حاشية ١٩٤): واسناده رباعي وفيه عنعنة قتادة ولكن يتساهل فيها وخصوصا لوجود ما يشهد له. وانظر تلبية القبائل المختلفة عند اليعقوبي: التاريخ (١/٢٥٥ - ٢٥٦).

(١٣٠) النجم: ١٩.

(١٣١) سيأتي ذكر معظم هذه البيوت عند الكلام عن تكسيرها بعد فتح مكة. وانظر المصادر المذكورة في هذا الباب من الكتاب.

(١٣٢) انظر في ذلك مثلا: اليعقوبي في تاريخه (١/٢٥٥ وما بعدها) والكلبي في كتابه الأصنام، والأسانيد ضعيفة.

باللبن الخاثر الذي ينفسه على نفسه فيصبه عليه، فيجيء الكلب فيلحسه، ثم يشفر فيبول. . الحديث[١٣٣]. وما يروى من أن بني حنيفة اتخذوا في الجاهلية إلهًا من حيس، فعبدوه دهرا طويلا، ثم أصابتهم مجاعة، فأكلوه، فقال رجل من بني تميم يعيرهم بذلك:

أكلت ربها حنيفة من جو * ع قديم بها ومن إعواز

وقال فيهم آخر:

أكلت حنيفة ربها * زمن التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم * سوء العواقب والتباعة[١٣٤]

وهناك قصة الرجل الذي قال شعرا في صنمهم عندما رأى ثعلبين يبولان عليه[١٣٥]. وقصة عمر بن الخطاب الذي أكل صنمه من العجوة عندما جاع. . . إلخ. وهي قصص وإن لم يثبت بعضها حديثيا إلا انها تصور الحالة التي كان عليها العرب في جاهليتهم.

ظهرت في بلاد العرب إلى جانب عبادة الأصنام، عبادة النجوم والكواكب، خاصة في حران والبحرين والبادية. ويقال إنه كان بمكة رجل يدعى «أبو كبشة» عبد نجما اسمه «الشعرى»، ودعا قريشا إلى عبادته. وانتشرت هذه العبادة بين بعض قبائل لخم وخزاعة وقريش. وعندما دعا الرسول ﷺ إلى عبادة الله وحده سموه ابن أبي كبشة لمخالفته إياهم في العبادة كما خالفهم في عبادته من قبله ابن أبي كبشة[١٣٦].

وعبدت الشمس في بلاد اليمن، وفي ذلك قال تعالى في قصة ملكة سبأ: ﴿إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم،

(١٣٣) أخرجه أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٠) وعزاه إلى الحاكم في المستدرك وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
(١٣٤) انظر: ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٢١ وإسناده ضعيف.
(١٣٥) ابن سعد (١/ ٣٠٧ ـ ٣٠٩) وقد ذكرنا القصة عند الكلام عن الوفود ـ وفد بني أسلم.
(١٣٦) الآلوسي: بلوغ الأرب في أحوال العرب (٢/ ٢٣٩).

فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون﴾[١٣٧].

وتسربت بعض فرق المجوسية الفارسية إلى بلاد العرب. وفي ذلك يقول ابن قتيبة[١٣٨]: «وكانت المجوسية في تميم منهم زرارة وحاجب بن زرارة... وكانت الزندقة في قريش، أخذوها من الحيرة»، وكان الأقرع بن حابس وأبو سود ـ جد وكيع بن حسان ـ ممن دان بالمجوسية[١٣٩]. وتسربت إلى هجر[١٤٠] من البحرين. وكانوا يقولون: إن قتل عدوهم على أرضهم ينجسها عليهم[١٤١].

ودخلت اليهودية بلاد العرب بصفة عامة والمدينة وخيبر ووادي القرى وفدك وتيماء[١٤٢] بصفة خاصة عندما نزح إليها اليهود. ووصلت إلى اليمن، ودان بها ذونواس الملك الحميري، وحاول حمل النصارى على اعتناقها كما ذكرنا سابقا. وانتشرت في بني كنانة وبني الحارث بن كعب وكندة، وربما وصلتهم من يهود يثرب وخيبر[١٤٣].

وتسربت المسيحية إلى الغساسنة والمناذرة، ومن أشهر الأديرة في الحيرة: «دير هند الأقدم» «ودير اللج» «ودير حارة مريم»[١٤٤]، وتسربت إلى جنوبي الجزيرة العربية، وأنشئت كنيسة بظفار وأخرى بعدن[١٤٥]. ولنصارى نجران قصة مع الرسول ﷺ في مكة وأخرى بالمدينة. سيأتي ذكرها.

ودانت بعض قبائل قريش بالمسيحية، منها: بنوأسد بن عبدالعزى، كما اعتنقها بنو امرىء القيس من تميم وبنو تغلب من ربيعة وبعض قبائل

---

(١٣٧) النمل: ٢٣ و ٢٤.
(١٣٨) المعارف: ص ٦٢١.
(١٣٩) المصدر والمكان نفسيهما.
(١٤٠) انظر: البخاري (٦/٢٥٧/ طبعة الشعب).
(١٤١) الحاكم: المستدرك (٣/٤٥١) بإسناد صحيح.
(١٤٢) تأتي أدلة ذلك بالتفصيل في غزوات الرسول ﷺ ومواقفه المختلفة من اليهود في هذه المناطق. وفيها أدلة صحيحة كثيرة.
(١٤٣) انظر: الآلوسي: بلوغ الأرب (٢/٢٤١).
(١٤٤) انظر، البكري: معجم ما أستعجم (٢/٦٠٦، ٢/٥٩٥، ٢/٦٠٤) وسمى الحموي «دير هند الأقدم»، «دير هند الكبرى» ـ معجم البلدان (٢/٧٠٩).
(١٤٥) د. سرور: قيام الدولة العربية، ص٦١، الآلوسي: بلوغ الأرب، ص ص ٢٤١ ـ ٢٤٤.

قضاعة، وكأنهم تلقوا ذلك عن الروم[١٤٦]. وممن تنصر بنصرانية محرفة من العرب: عدي بن حاتم الطائي[١٤٧].

لم تنتشر اليهودية والنصرانية انتشارا واسعا في بلاد العرب كما هو واضح من تاريخهما وسيرتهما وسط القبائل والأفراد. ولم تندثر تماما ديانة إبراهيم (عليه السلام)، بل تمسك بها نفر قليل جدا وسط دياجير ظلام الجاهلية وعبادة الأوثان. وعرف هؤلاء النفر بالحنفيين أو الحنفاء. فقد كانوا يؤمنون بالله ويوحدونه، توحيد ألوهية وتوحيد ربوبية، وينتظرون النبوة[١٤٨].

وكان من هؤلاء الحنفاء: قس بن ساعدة الإيادي، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وأمية بن أبي الصلت، وأبو قيس بن أبي أنس، وخالد بن سنان، والنابغة الذبياني، وزهير بن أبي سلمى، وكعب بن لؤي بن غالب ـ أحد أجداد النبي ﷺ[١٤٩].

وقد سموا بالحنفاء نسبة إلى ما وصف به دين إبراهيم في القرآن الكريم ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين﴾[١٥٠]، ﴿ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين﴾[١٥١]. ﴿قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[١٥٢].

ولنقف وقفة قصيرة مع أشهر هؤلاء الحنفاء، لإلقاء بعض الضوء على سيرهم ومعتقداتهم:

---

(١٤٦) اليعقوبي، تاريخه (١/ ٢١٤)، «وهي رواية ضعيفة». الآلوسي: بلوغ الأرب (٢/ ٢٤١). د. سرور ص ٦٢، ابن قتيبة: المعارف، ص ٦٢١.

(١٤٧) انظر البخاري (٦/ ٥٣٣)، احمد (٤/ ٣٧٧، ٣٧٨) واسناده حسن.

(١٤٨) انظر في هذا ـ مثلا ـ: الآلوسي: بلوغ الارب، ص ص ٢٨٧ ـ ٣٤٩. وتأتي الأدلة الصحيحة على هذا من خلال ما سنذكر من مرويات صحيحة عن أحوالهم.

(١٤٩) انظر أخبارهم عند ابن كثير: البداية (٢/ ٢٣٠ ـ ٢٦٦). وانظر ما جاء من أخبارهم بأسانيد صحيحة في الفقرات التالية.

(١٥٠) الأنعام: ٧٩.

(١٥١) آل عمران: ٦٧.

(١٥٢) آل عمران: ٩٥.

١ ـ زيد بن عمرو بن نفيل:

روى ابن إسحاق[١٥٣] بإسناده إلى أسماء بنت أبي بكر، قالت: «لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل مسندا ظهره إلى الكعبة، يقول: «يامعشر قريش والذي نفس زيد بيده ما أصبح أحد منكم على دين إبراهيم غيري». ثم يقول: «اللهم إني لو أعلم أحب الوجوه إليك عبدتك به، ولكني لا أعلم». ثم يسجد على راحلته، وكان يصلي إلى الكعبة ويقول: «إلهي إلهَ إبراهيم، وديني دين إبراهيم». وكان يحيي الموؤودة، ويقول للرجل إذا أراد أن يقتل ابنته: «لا تقتلها، ادفعها إلى أكفلها، فإذا ترعرعت فخذها، وإن شئت فادفعها».

وروى البخاري[١٥٤] عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشام يسأل عن دين صحيح يتبعه. فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم، لعله يتبعه، فقال له اليهودي: «إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ نصيبك من غضب الله». قال زيد: «وما أفر إلا من غضب الله تعالى ولا أحمل من غضب الله شيئا ولا أستطيع، فهل تدلني على غيره؟» قال: «ما أعلمه إلا أن تكون حنيفاً». قال زيد: «وما الحنيف؟ «قال: «دين إبراهيم (عليه السلام) لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد إلا الله». فخرج زيد، فلقي عالما نصرانيا، فدار بينهما مثل مادار بينه وبين اليهودي. فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم، خرج، فلما برز رفع يديه فقال: «اللهم إني أشهدك اني على دين إبراهيم».

وكان زيد يرفض الأكل من ذبائح قريش، ويقول: «إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه»، ويعيب على قريش ذبائحهم، ويقول: «الشاة خلقها الله، وأنزل لها من السماء الماء، وأنبت لها من الأرض، ثم تذبحونها على غير اسم

---

(١٥٣) نقله ابن كثير في البداية (٢/٢٥٨)، وإسناده حسن. والشطر الأول من الرواية عند ابن هشام (١/٢٨٧) إلى قوله: «ثم يسجد على راحلته» وإسناده حسن.

(١٥٤) الفتح (١٤/٢٩٩ ـ ٣٠١/ ح ٣٨٢٧).

الله؟» إنكاراً لذلك وإعظاما له[١٥٥].

ورويت أحاديث أخرى من طرق ضعيفة، لكنها تعتضد وتتقوى بعضها ببعض وبأحاديث البخاري فترتفع الى درجة الحسن لغيره، دلت على أن زيدا كان يبحث عن الدين الصحيح، وأخيرا استقر على دين إبراهيم (عليه السلام)[١٥٦].

ولهذا قال عنه الرسول ﷺ: «يحشر ذاك أمة وحده بيني وبين عيسى ابن مريم[١٥٧]. وقال: «دخلت الجنة فرأيت لزيد بن عمرو دوحتين»[١٥٨].

لقد لقي زيد بن نفيل الرسول ﷺ ومات قبل أن يبعث الرسول ﷺ[١٥٩].

٢ ـ ورقة بن نوفل:

روي أنه خرج مع زيد بن نفيل يبحث عن دين صحيح يتبعه، وبعد البحث تنصر ورقة، ولم يرتض زيد سوى دين إبراهيم (عليه السلام)[١٦٠].

قال النبي ﷺ يوما لخديجة (رضى الله عنها) إنه يرى ضوءا ويخشى أن يكون به جنن، فطمأنته، ثم أتت به ورقة، وذكرت له ما يقع له، فقال ورقة: «إن يك صادقا فإن هذا ناموس مثل ناموس موسى،

---

(١٥٥) البخاري / الفتح (١٤/٢٩٨ ـ ٩٩/ ح ٣٨٢٦).

(١٥٦) انظرها عند: ابن كثير: البداية (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦٥)، وابن سعد (١/ ١٦١ ـ ١٦٢)، والطيالسي بترتيب الساعاتي (٢/ ١٦١).

(١٥٧) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٦٢) من رواية عثمان بن أبي شيبة، وقال ابن كثير: «إسناده جيد حسن». وقال ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣٠١) بعد أن ذكر الحديث بلفظ «يبعث يوم القيامة أمة وحده»: «روى البغوي في الصحابة من حديث جابر نحو هذه الزيادة».

(١٥٨) نقله ابن كثير في البداية (١٢/ ٢٦٣) من رواية الباغندي، وقال ابن كثير: «وهذا إسناد جيد».

(١٥٩) البخاري/ الفتح (١٤/ ٢٩٨/ ح ٣٨٢٦).

(١٦٠) من رواية الطيالسي ـ ترتيب البنا (٢/ ١٦١)، بإسناد ضعيف، لأن فيه نفيل بن هاشم، وهو مجهول، ولم يوثقه سوى ابن حبان، وله شواهد تقويه، فيرتفع إلى درجة الحسن لغيره، وهي الأحاديث الخاصة برحلة زيد إلى الشام بحثا عن الدين الصحيح. فانظرها ففيها القوي والضعيف.

فإن بعث وأنا حي فسأعزره وأنصره وأومن به.»[١٦١].

وسيأتي خبره والآثار الواردة في إسلامه عند الكلام على بداية نزول الوحي على الرسول ﷺ، والمسلمين الأوائل. وله أبيات شعرية رائعة في التوحيد والبعث[١٦٢].

٣ ـ قس بن ساعدة الإيادي:

روي عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) وغيره انه عندما قدم وفد إياد على الرسول ﷺ سألهم عن قس بن ساعدة، فذكروا له انه هلك. فقال النبي ﷺ: «لقد شهدته يوما بعكاظ على جمل أحمر يتكلم بكلام معجب مؤنق لا أجدني أحفظه. فذكر أحد أفراد الوفد انه يحفظه، فهو: «يا معشر الناس اجتمعوا، فكل من مات فات، وكل شيء آت آت، ليل داج وسماء ذات أبراج، وبحر عجاج، نجوم تزهر، وجبال مرساة، وأنهار مجراة، إن في السماء لعبرا، مالي أرى الناس يذهبون فلا يرجعون، أرضوا بالإقامة فأقاموا، أم تركوا فناموا، أقسم قس بالله قسما لا ريب فيه، ان لله دينا هو أرضى من دينكم هذا»، وأنشد في ذلك شعرا.[١٦٣]

وروى ابن عباس انه عندما قدم وفد عبد القيس على النبي ﷺ سألهم عن قس، فقالوا: «هلك». قال: «...» فذكر كلاما بنحو ما جاء في رواية ابن الصامت[١٦٤].

---

(١٦١) أحمد: الفتح الرباني (٢٠/٢٠٧) بإسناد حسن، مرة مرسلا ومرة متصلا.

(١٦٢) انظر: ابن هشام (١/٢٩٤) ـ ٢٩٥) من رواية ابن إسحاق، بدون إسناد. فهي ضعيفة.

(١٦٣) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥٠ ـ ٥١) من رواية الخرائطي، بإسناد ضعيف، لأن نصر بن حماد الوراق المعروف بأبي الحارث الوراق ضعيف واه ـ انظر: المغني للذهبي (٢/ ٧٧٩) وقال ابن كثير في البداية «وهذا إسناد غريب من هذا الوجه».

(١٦٤) نقله ابن كثير في البداية (٢/ ٢٥١) من رواية الطبراني، ورواه البيهقي في الدلائل (١/ ١٠٤)، وإسنادهما ضعيف جدا، لأن فيه محمد بن الحجاج، كذبه أبوحاتم وجماعة كما في المغني للذهبي (٢/ ٥٦٥).

وروى ابن كثير[١٦٥] والبيهقي[١٦٦] أحاديث أخرى بهذا المعنى في قصة قس وتعبده بالحنيفية وأقواله، وأشعاره في ذلك، دلت على أن لقصته أصلا تاريخيا، كما ذكر ابن كثير والبيهقي.

٤ ـ أمية بن أبي الصلت:

هو الذي قال فيه الرسول ﷺ: «كاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم»[١٦٧]. وفي رواية: «فلقد كاد أن يسلم في شعره»[١٦٨]. ويقال إنه ممن دخل في النصرانية وأكثر في شعره من ذكر التوحيد والبعث يوم القيامة[١٦٩]، فقد كان من فحول الشعراء[١٧٠]، عاش إلى زمان البعثة ولم يؤمن تكبرا عن أن يكون تابعا للرسول ﷺ[١٧١]، وفيه نزل قول الله تعالى ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها﴾[١٧٢، ١٧٣].

قيل إنه مات سنة تسع، وقيل سنة اثنتين[١٧٤]، وله شعر في رثاء قتلى قريش يوم بدر الكبرى[١٧٥].

٥ ـ لبيد بن ربيعة العامري ثم الكلابي ثم الجعفري:

كان من فحول شعراء الجاهلية، ومن شعراء المعلقات. قال

---

(١٦٥) البداية (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٨) وقال (ص ٢٥٧): «... وهذه الطرق على ضعفها كالمتعاضدة على إثبات أصل القصة...» وذكر كلام البيهقي عن هذه الطرق (ص٢٥٨).

(١٦٦) دلائل النبوة (٢/ ١٠٢ ـ ١١٣) وقال بعد سياقه هذه الطرق: «... وإن كان بعضها ضعيفا دل على أن للحديث أصلا، والله أعلم».

(١٦٧) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣١٠/ ح ٣٨٤١)، مسلم (٤/ ١٧٦٨/ ح ٢٢٥٦).

(١٦٨) مسلم (٤/ ١٧٦٨/ ح ٢٢٥٥).

(١٦٩) ابن حجر: الفتح (١٤/ ٣١٠/ ش ح ٣٨٤١) وانظر مثاله عند ابن اسحاق (ابن هشام ١/ ٢٨٩ ـ ٩٠).

(١٧٠) انظر شعره عند ابن اسحاق، مثلا: ابن هشام (١/ ٨٦، ١٠٠، ١٠٨، ٢٨٩، ٢٩٥، ٣٠٧)، (٢/ ٢١٠)، (٣/ ٤٢)، وقد أنشد الشريد بن سويد الرسول ﷺ مائة بيت من شعره، كما روى مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٧/ ح ٢٢٥٥).

(١٧١) من رواية الطبري كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠)، ولم يتكلم على إسناده.

(١٧٢) الأعراف: ١٧٥.

(١٧٣) من رواية ابن مردويه بإسناد قوي عن عبدالله بن عمرو بن العاص، كما نقله ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠) ثم قال: «وروى من أوجه أخرى أنها نزلت في بلعام الإسرائيلي، وهو المشهور».

(١٧٤) ذكره ابن سبط الجوزي كما نقله عنه ابن حجر في الفتح (١٤/ ٣١٠).

(١٧٥) ابن إسحاق (ابن هشام ٣/ ٤٢ ـ ٤٨).

الرسول ﷺ عنه: «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ماخلا الله باطل»[176]. وله قصة مع عثمان بن مظعون، سنذكرها في الكلام عن أساليب حرب المشركين للدعوة ـ الأسلوب العاشر.

وقد أسلم لبيد، ومات في خلافة عثمان، بعد أن عاش مائة وخمسين عاما، وقيل أكثر[177].

وممن ذكر من الحنفاء غير هؤلاء: أرباب بن رئاب، والشاعر سويد ابن عامر المصطلقي، وأسعد أبوكرب الحميري، ووكيع بن سلمة بن زهير الإيادي، وعمير بن حيذب الجهني، وعدي بن زيد العبادي ـ تنصر ـ، وأبوقيس صرة بن أبي أنس البخاري، وسيف بن ذي يزن الحميري وعامر بن الظرب العدواني، والشاعر عبدالطانجة بن ثعلب ابن وبرة بن قضاعة، وعلاف بن شهاب التميمي، والملتمس بن أمية الكناني، والشاعر زهير بن أبي سلمى، وخالد بن سنان بن غيث العبسي. وعبدالله القضاعي، وعبيد بن الأبرص الأسدي، وكعب بن لؤي بن غالب القرشي ـ أحد أجداد النبي ﷺ[178]، وعثمان بن الحويرث، الذي رحل في طلب الدين، فاستقر به المقام عند قيصر، فتنصر وأقام عنده بأحسن مقام[179]، وعمرو بن عبسة السلمي، الذي أكرمه الله بالإسلام[180]، وأكثم بن صيفي بن رباح[181]، وعبدالمطلب ـ جد النبي ﷺ[182].

---

(١٧٦) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣٠٩/ ح ٣٨٤١)، مسلم (٤/ ١٧٦٨ ـ ٦٩/ ح ٢٢٥٦).
(١٧٧) انظر: ابن حجر: الفتح (١٤/ ٣١٠).
(١٧٨) انظر سيرهم وأقوالهم وأشعارهم عند: الآلوسي: بلوغ الأرب، ص ص ٢٥٨ ـ ٢٨٢، وابن قتيبة: المعارف، ص ص ٥٨ ـ ٦٢.
(١٧٩) ابن إسحاق ـ بدون إسناد (ابن هشام ١/ ٢٨٦) فهو ضعيف.
(١٨٠) انظر أخباره في ترجمته في الإصابة (٣/ ٥ ـ ٦) وعند الطبري: التاريخ (٢/ ٣١٥) بإسناد صحيح.
(١٨١) انظر خبره عند الآلوسي: بلوغ الأرب (١/ ٣٠٨ ـ ٣٠٩).
(١٨٢) انظر: المسعودي: مروج الذهب (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٨)، الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٢٤٨). وكون عبدالمطلب جد النبي ﷺ أمر لا خلاف فيه بين أهل التفسير والحديث والمغازي والسير والتاريخ وسيأتي قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب..» بمناسبة غزوة حنين.

جـ ـ الحياة الاجتماعية عند العرب في الجزيرة العربية:

إن الحياة الاجتماعية في أي مجتمع من المجتمعات لا تكاد تنفصل عن الحياة الدينية والاقتصادية. ولأن الوثنية التي سادت بين العرب كانت ضد الفطرة والمنطق فقد نتج عن ذلك مظاهر اجتماعية ضد الفطرة والمنطق.

ومن بين تلك المظاهر: الانحطاط الأخلاقي الذي تمثل في ممارسة كثير من الرذائل مثل شرب الخمر ولعب الميسر، والزواج بغير عدد، وقتل بعضهم الأولاد خشية الفقر أو بسبب الفقر، وقتل بعضهم الإناث بالذات خوف العار، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب، وأخذ الثأر. وقد حكى عنهم الله كل هذه الرذائل في القرآن الكريم وعلى لسان رسوله، وعابها عليهم، وظل الرسول ﷺ يحاربها طوال حياته كما هو معروف، ومثال ذلك: ما قاله ابن عباس: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام» وقوله تعالى ﴿وإذا الموؤدة سئلت. بأي ذنب قتلت﴾[١٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾[١٨٤]، وقوله تعالى ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون؟ أم يدسه في التراب؟ ألا ساء ما يحكمون﴾[١٨٥]، وقوله ﴿إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[١٨٦]، وقوله: ﴿ولا تقتلوا أولادكم من إملاق. . .﴾[١٨٧]، وقوله ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾[١٨٨].

وسادت في بعض أوساط غير الأشراف أنواع من الأنكحة التي لا تختلف

---

(١٨٣) التكوير: ٨ ـ ٩.
(١٨٤) الزخرف: ١٧.
(١٨٥) النحل: ٥٨ ـ ٥٩.
(١٨٦) المائدة: ٩٠.
(١٨٧) الأنعام: ١٥١.
(١٨٨) الإسراء: ٣١.

عن الدعارة. فقد روى البخاري[١٨٩] وأبو داود[١٩٠] عن عائشة (رضي الله عنها) انها قالت إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: فكان منها نكاح الناس اليوم... ونكاح الاستبضاع، وهو أن يصيب الرجل الأجنبي امرأة غيره في طهر لم يجامعها فيه زوجها ولا يقربها زوجها حتى يتبين حملها، ونكاح الرهط، وهو أن يجتمع الرهط دون العشرة، فيصيب كل منهم امرأة غيره، فعندما تضع حملها ترسل إليهم فيجتمعون عندها، فتلحق المولود بمن تريد منهم، ونكاح رابع، وهو أن يجتمع الرجال الكثير على المرأة التي تنصب راية على بيتها، فإذا حملت فوضعت حملها جمعوا لها، ودعوا لهم القافة، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرونه أكثر شبهاً به. وقد أبطل الإسلام كل هذه الأنكحة ما عدا نكاح الناس اليوم. ولم يكن يحس بعضهم بعار هذه الممارسات، فقد روى الشيخان[١٩١] أن رجلا قام فقال: «يارسول الله: إن فلانا ابني، عاهرت بأمه في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «لا دعوة في الإسلام. ذهب أمر الجاهلية. الولد للفراش وللعاهر الحجر».

وسيأتي ذكر قصة اختصام سعد بن أبي وقاص وعبد بن زمعة في ابن أمة زمعة ـ وهو عبدالرحمن بن زمعة ـ في فقه عمرة القضاء.

وكانوا يجمعون بين الاختين، ويتزوجون بزوجات آبائهم إذا طلقت أو ماتوا عنهن. وفي ذلك يقول الله تعالى ﴿وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف﴾[١٩٢]، ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء...﴾[١٩٣].

ولم يكن للطلاق عدد معين[١٩٤]، فحدده الإسلام باثنتين، كما في قوله تعالى: (الطلاق مرتان)[١٩٥].

---

(١٨٩) الفتح: (١٩/ ٢٢٠ ـ ٢٢٢/ ح ٥١٢٧).

(١٩٠) السنن (٢/ ٧٠٢ ـ ٧٠٣/ ك. الطلاق/ ب. في وجوه النكاح التي كان يتناكح بها أهل الجاهلية/ ح ٢٢٧٢) وإسناده حسن إلى عائشة (رضي الله عنها).

(١٩١) البخاري/ الفتح (٩/ ١٣٨/ ح ٢٠٥٣)، ومسلم (٢/ ١٠٨٠/ ح ١٤٥٧)، وبقية أصحاب الكتب الستة وغيرهم.

(١٩٢) النساء: ٢٣.

(١٩٣) النساء: ٢٢.

(١٩٤) أبوداود: السنن (٢/ ٦٤٤ ـ ٦٤٥/ ك. الطلاق/ ب. نسخ المراجعة بعد التطليقات الثلاثة/ ح ٢١٩٥) وإسناده صحيح.

(١٩٥) البقرة: ٢٢٩، وانظر كتب التفسير.

وعلى الرغم من وجود هذه الأمراض الخلقية عند عرب الجاهلية إلا أن هناك جوانب مضيئة في حياتهم السياسية والاجتماعية لا يمكن إنكارها، ولعلها كانت سببا في اختيار الله لهم لحمل رسالته إلى العالمين. ومثال ذلك أن جاهليتهم لم تكن مركبة تقوم على فلسفة معقدة يصعب إزالتها، كما كان الحال في المجتمعات الأخرى المجاورة. وكانوا أصحاب عزيمة قوية يصدقون عندما يؤمنون، وقد وصفهم القرآن بهذا في قوله تعالى: ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه، ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا﴾[١٩٦]. وكان كثير منهم يتمسك بالفضائل ويقدرون من يتصف بمكارم الأخلاق، كما كان موقفهم من الرسول ﷺ في هذا الجانب بالذات، وهو موقف عبر عنه أبوسفيان في حديثه المشهور لهرقل، كما سيأتي.

وكانوا من أصفى الناس ذهنا، وتحكى في ذلك الحقائق والغرائب، فقد ذكر ابن عبدالبر[١٩٧]، أن ابن شهاب الزهري كان يقول: «إني لأمر بالبقيع فأسد آذاني مخافة أن يدخل فيها شيء من الخنا، فوالله ما دخل أذني شيء قط فنسيته»، وقال ابن عبدالبر[١٩٨] أيضا: «كان أحدهم يحفظ أشعار بعض في سمعة واحدة. وقد جاء أن ابن عباس (رضي الله عنه) حفظ قصيدة عمر بن أبي ربيعة:

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر * غداة غد أم رائح فمهجر

في سمعة واحدة على ما ذكروا، وليس أحد اليوم على هذا، ولولا الكتاب لضاع كثير من العلم...».

وليس بعد هذا يستغرب عدد الأحاديث التي رواها ابن عباس وأبوهريرة، وابن مسعود، وعائشة (رضي الله عنهم). فقد روى أبو هريرة خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثا، وروى عبدالله بن عمر ألفي حديث

---

(١٩٦) الأحزاب: ٢٣.
(١٩٧) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦٩) وإسناده صحيح.
(١٩٨) المرجع نفسه، ص ص ٦٩ - ٧٠.

وستمائة وثلاثين حديثا... إلخ[١٩٩].

وكانوا يعشقون الحرية، ولم يعرفوا الخضوع إلا لذوي الأسنان منهم، ممن تتوافر فيهم شروط النجدة والبسالة، والرجولة والصبر والحلم والأناة، وكل خصال الخير.

وعلى الرغم من عبادتهم الأوثان، إلا أنهم كانوا لا ينكرون وجود الله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله...﴾[٢٠٠]، ﴿ولئن سألتهم من نَزّل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله...﴾[٢٠١].

وكانوا أصحاب لغة واحدة، ذات سحر وبيان، عبرت عن الإسلام أحسن تعبير.

---

(١٩٩) انظر: ابن حزم: جوامع السيرة، ص ص ٢٧٥ - ٧٦.
(٢٠٠) العنكبوت: ٦١.
(٢٠١) العنكبوت: ٦٣.

obeikandl.com

٢ ـ في خارج الجزيرة العربية:

أ ـ جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل اليهودية:

أولاً: جوانب من الحياة الدينية:

لقد تعرضت الديانتان السماويتان اليهودية والنصرانية إلى تحريف وتبديل[٢٠٢] ومن ثم فقدتا الروح ولم تَعُودا تمثلان دورهما الأساسي في إصلاح الناس الذين جاءتا من أجلهم.

فاليهودية، بالإضافة إلى التحريف الذي حدث في أصولها، كانت ديانة أراد الله أن تكون لبني إسرائيل خاصة. غير أنها أصيبت في عقيدة التوحيد التي فضل الله بها بني إسرائيل على أهل زمانهم، إذ اقتبس اليهود كثيرا من العقائد والتقاليد الوثنية الجاهلية للأمم التي جاوروها أو سيطروا عليها أو عاشوا وسطها. وقد اعترف بهذه الحقيقة مؤرخو اليهود المنصفون. ومثال ذلك ما جاء في دائرة المعارف اليهودية[٢٠٣] مامعناه:

---

(٢٠٢) لقد ذكر القرآن الكريم في عدة آيات مجالات تحريفهم وافترائهم واقرأ عن هذا التحريف والتبديل في مثل الكتب أو الأبحاث الآتية:

أ) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة للدكتور موريس بوكاي.

ب) الصراع بين الدين والعلم للكاتب الأوروبي الشهير دريبر:

ج) التوراة للدكتور مصطفى محمود ـ دار العودة ـ بيروت ١٩٧٢م.

د) أسطورة تجسد الإله في المسيح ـ تحرير سبعة من أساتذة اللاهوت البريطانيين على رأسهم الأستاذ الدكتور جون هك، أستاذ اللاهوت بجامعة برمنجهام. والكتاب من مائتي صفحة من القطع المتوسط، مقسمة على عشرة فصول. صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٧٧ بلندن.

هـ) مجلة كلية أصول الدين ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ العدد الأول ١٣٩٧/١٣٩٨هـ، ص ص ٢٧ ـ ٦٦ ـ بحث بعنوان «تحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها» بقلم الدكتور/ محمد أبوالغيط الفرت.

و) الرد الصحيح على من بدل دين المسيح لابن تيمية.

ز) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، خاصة الجزء الأول والثاني.

ح) إظهار الحق لرحمة الله الهندي.

ط) العقائد الوثنية في الديانة النصرانية لمحمد التنير.

(٢٠٣) نقلا عن الدكتور الفرت في بحثه المشار إليه في الفقره (هـ) من الحاشية (٢٠٢).

«إن سخط الأنبياء وغضبهم على عبادة الأوثان تدل على أن عبادة الأوثان والآلهة كانت قد تسربت إلى نفوس الإسرائيليين، ولم تستأصل شأفتها إلى أيام رجوعهم من الجلاء والنفي في بابل، وقد قبلوا معتقدات خرافية ومشركة، وإن التلمود[٢٠٤] أيضا يشهد بأن الوثنية كانت فيها جاذبية خاصة لليهود...».

هذا بالإضافة إلى أن توراتهم وتلمودهم قد طفحا بأوصاف ونعوت لا تليق بذات الله ووجيه وأنبيائه ورسالاتهم.

فتراهم في توراتهم المحرفة وعهدهم القديم[٢٠٥] ـ مثلا ـ يذكرون أن الله قد تعب في اليوم السادس وهو يخلق الكون، واستراح في اليوم السابع، وبارك اليوم السابع وقدسه لأنه استراح فيه من جميع أعماله[٢٠٦]. ولذلك كان تحريم اليهود للعمل يوم السبت.

وجاء في عهدهم القديم في قصة آدم وزوجه حواء (عليهما السلام): «وسمعنا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة، عند هبوب رياح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة، فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها؟..»

وهكذا يصورون الله وكأنه بشر لا يعرف ما يحدث في حديقة منزله[٢٠٧].

وقد أعقب هذا قولهم إن آدم عندما أكل من شجرة المعرفة ارتفع بهذا العصيان إلى مراتب الآلهة، وأدرك الخير والشر، على الرغم من أن الرب

---

(٢٠٤) هو كتاب تعليم ديانة اليهود وآدابهم، وهو مجموع حواشي وشروح كتاب المشنا (الشريعة) لعلماء اليهود في عصور مختلفة، انظر في ذلك: التلمود ـ تاريخه وتعاليمه لظفر الإسلام خان.

(٢٠٥) فيما سبرد من معلومات توارتية، انظر: التوراة السامرية ـ ترجمة الكاهن السامري: أبوالحسن إسحق الصوري ـ نشر وتعريف الدكتور حجازي السقا ـ نشر دار الأنصار المصرية.

(٢٠٦) انظر: سفر التكوين: الإصحاح الثاني.

(٢٠٧) سفر التكوين: الإصحاح الثالث. وقارن هذا بتصور الإسلام لله تعالى في قوله: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ ـ (يونس: آية ٦١) ـ وقوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ـ (قاف: آية ١٦).

عندما خلقه كان حريصا على بقائه جاهلا بهما. وعندما خشي الرب على ازدياد تمرد آدم واستفحال أمره، أخرجه وزوجه من الجنة حتى لا تمتد أيديهما إلى شجرة الحياة فيكتب لهما الخلود[٢٠٨]. ولم ترضه أيضا سيرة آدم وأبنائه في الأرض، لأنه فوجئ بهم يملؤونها بالشرور والآثام، فحزن وتأسف على خلقهم[٢٠٩].

والله في كتابهم المقدس يندم على إغراق الأرض بالطوفان[٢١٠]. ويقبل ضيافة نبيه إبراهيم، ويأتي إلى منزله بصحبة اثنين من ملائكته ويأكلون من مائدة إبراهيم الدسمة[٢١١].

والله في توراتهم المحرفة يدخل في عراك ومصارعة مع عبده ونبيه يعقوب، دامت ليلة كاملة. وعندما أوشك يعقوب أن ينتصر عليه، لجأ إلى خدعة مكنته من كسب الجولة والغلبة، وهي أنه ضرب حق فخذ يعقوب حتى انخلع. وعلى الرغم من ذلك لم يتركه يعقوب إلا بعد أن باركه ونال منه لقب إسرائيل[٢١٢].

والله في توراتهم إلٰه خاص بهم: لا يحب غيرهم، لأنهم شعبه المختار. وأن الأمم الأخرى فهي كالأغنام لا يأبه بها الإلٰه[٢١٣]. ويبنون كراهيتهم للأجناس الأخرى، وعلى رأسهم العرب، على أساس من دينهم المحرف. فتراهم يذكرون في توراتهم قصة يزعمون فيها أن نوحا ـ نبي الله ـ سكر حتى استلقى وانكشفت سوأته، ولما رآه ابنه حام ـ أبوكنعان ـ ضحك منه وفضحه عند أخويه سام ويافث، اللذين ستراه دون النظر إلى عورته. وعندما أفاق نوح من سكرته، وعلم بما حدث من ابنه الأصغر حام، استنزل عليه لعنة الله قائلا:

«ملعون كنعان عبدالعبيد يكون لإخوته. مبارك الرب إلٰه سام، وليكن

(٢٠٨) سفر التكوين: الإصحاح الثالث.
(٢٠٩) سفر التكوين: الإصحاح السادس.
(٢١٠) سفر التكوين: الإصحاح التاسع.
(٢١١) سفر التكوين: الإصحاح الثامن.
(٢١٢) سفر التكوين: الإصحاح الثاني والثلاثين.
(٢١٣) الإصحاح السابع والإصحاح السادس.

كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث، فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم. .»[٢١٤].

وظاهر في هذه القصة إرادة اليهود استعباد الكنعانيين أبناء حام ـ وهم لا ذنب لهم ـ وتزكية الإسرائيليين أبناء سام.

وكما صور اليهود نوحا سكيرا ليصلوا إلى أهداف معينة، تراهم أيضا يصورون لوطا سكيرا وعاهرا يزني بابنتيه في حالة سكر، وتحبلان منه وتلدان. وزعموا أن ابن البنت البكر عرف بـ(مؤاب)، أبو المؤابيين إلى اليوم[٢١٥]، ليصلوا بذلك إلى هدف واضح أيضا وهو تجريح أعدائهم الموابيين، وكل ذلك باسم الوحي.

وصدق الله العظيم الذي قال في القرآن الكريم:

﴿. . . وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وماهو من الكتاب، ويقولون هو من عند الله، وما هو من عند الله، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[٢١٦]. ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبتْ أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾[٢١٧].

وتدّعي توراتهم أن كل النساء غير اليهوديات مومسات. ويستحق القتل كل الجوييم[٢١٨] ـ غير اليهود ـ حتى ذوو الفضل منهم. وأن من يقتل غير اليهودي يقدم قربانا للرب[٢١٩].

هل يمكن أن يكون هذا كتابا إلهيا مقدسا لتعريف البشر بالله وهدايتهم إلى طريقه؟!

إن هذا الإعتقاد الباطل هو الذي جعلهم لا يبالون بكل القيم في سبيل

---

(٢١٤) سفر التكوين: الإصحاح التاسع ـ وانظر: الملل والنحل لابن حزم، ج ١، ص ١٢٣.
(٢١٥) سفر التكوين: الإصحاح التاسع عشر.
(٢١٦) آل عمران: آية ٧٨.
(٢١٧) البقرة: ٧٩.
(٢١٨) ومعناها عندهم: العبيد أو الحمير.
(٢١٩) انظر: ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة الدكتور/ عبدالحليم عويس. طبعة النادي الأدبي بالرياض ـ ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م ص ص ١٢١ ـ ١٢٢.

الوصول إلى أهدافهم كما هو واضح من بروتكولات حكماء صهيون. ولا يبالون في وصف أنبياء الله بأوصاف لا تليق بهم كما قلنا. فهاهم مثلا ـ يصورون إبراهيم (عليه السلام) ديوثا في سبيل حرصه على الحياة والمنافع الدنيوية. فيذكرون في توراتهم أنه أغرى زوجته سارة بالذهاب إلى بيت فرعون بصفتها أخت إبراهيم من أجل الحصول على حظيرة من الغنم والحمير، قال لها «قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك. .»[٢٢٠].

ويصورون يعقوب (عليه السلام) بأنه محتال، سرق النبوة من أخيه البكر بأسلوب قذر[٢٢١].

ويصورون ابنة يعقوب المسماة «دينة» بأنها زانية، زنا بها ابن رئيس المدينة المجاورة[٢٢٢].

ويقولون في تلمودهم بأن عيسى بن مريم (عليه السلام) ابن غير شرعي، حملته أمه سفاحا وهي حائض، من العسكري «باندارا»، وإنه كذاب ومجنون ومضلل وساحر ومشعوذ ووثني. ووصف تلمودهم المسيحيين بأنهم ليسوا أكثر من خرق حيض المرأة التي تُرمَى في القاذورات، وأنّهم وثنيون وقتلة وفسقة وحيوانات قذرة وحمير وخنازير وكلاب[٢٢٣].

ويصورون نبيهم داود يزني بامرأة أحد ضباطه، وتحبل منه، وذلك عندما رآها على السطوح فأعجبه جمالها، وأرسل الضابط إلى ميادين القتال ليهلك، ومن ثم يتزوج هو زوجته[٢٢٤].

أي بشاعة هذه؟ إن هذا الكلام لا يمكن أو يعقل أن يكون من عند الله، وبالتالي لا يمكن أن يكون صالحا لهداية البشرية.

لقد حكى القرآن الكريم عن جوانب كثيرة من تفكير اليهود الديني

---

(٢٢٠) سفر التكوين: الإصحاح الحادي والعشرون.
(٢٢١) انظر سفر التكوين: الإصحاح السابع والعشرون.
(٢٢٢) انظر القصة كاملة في سفر التكوين: الإصحاح الرابع والثلاثين.
(٢٢٣) انظر: التوراة للدكتور مصطفى محمود، مرجع سبق ذكره، ص ص ٦٧ - ٧٠.
(٢٢٤) انظر: ثقافة المسلم في وجه التحديات المعاصرة للدكتور/ عبدالحليم عويس، مرجع سابق.

وموقفهم من كتابهم ورسلهم. ومن ذلك ماحكاه عن:

ميلهم إلى الوثنية على الرغم من وجود نبيهم موسى (عليه السلام) بينهم، فقد قالوا له: ﴿اجعل لنا إلها كما لهم آلهة﴾[٢٢٥] وعندما عاد إليهم موسى بعد ملاقاة ربه، وجدهم عاكفين على عبادة عجل، قائلين: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾[٢٢٦].

. وعدم تخليهم عن شغفهم بالوثنية بعد موسى، كما قال تعالى ﴿ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون. . . وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم. . .﴾[٢٢٧].

وذكر القرآن نوعا من تعنتهم مع موسى، ويتمثل ذلك في قولهم له ﴿أرنا الله جهرة﴾[٢٢٨]، وذكر نوعا من سوء أدبهم مع الله، فقال: ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة، غلت أيديهم﴾. [المائدة: الآية ٦٤].

ونسبهم بنوة البشر لله تعالى، قال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله﴾[٢٢٩].

وألهوا أحبارهم، كما قال تعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾[٢٣٠].

وعدم تورعهم في تحريف كلام الله كما حكى عنهم القرآن في الآية ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، فويل لهم مما كتبت أيديهم، وويل لهم مما يكسبون﴾[٢٣١]، وفي الآية ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾[٢٣٢].

---

(٢٢٥) الأعراف: ١٣٨.
(٢٢٦) طه: ٩١ وانظر القصة في سورة طه الآيات ٨٣ ـ ٩٧.
(٢٢٧) البقرة: ٩٢، ٩٣.
(٢٢٨) النساء: ١٥٣.
(٢٢٩) التوبة: ٣٠.
(٢٣٠) التوبة: ٣١.
(٢٣١) البقرة: ٧٩.
(٢٣٢) البقرة: ٧٥.

ومما حكاه القرآن عن موقفهم من رسلهم قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم، ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون﴾[٢٣٣] وقوله تعالى: ﴿كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق﴾[٢٣٤] وقوله: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾[٢٣٥].

ويتضح لك مما سقناه من أدلة من كتب اليهود ومن كتاب الله إلى أي درك وصلت هذه الديانة على أيدي هؤلاء البشر.

ثانيا: جوانب من الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات اليهودية:

إن الله تعالى لا يرضى لدينه أن يكون عنصريا بعيدا عن الإنسانية، ولكن اليهود بدلوا دين الله وجعلوه عنصريا لا يحمل للإنسانية رحمة، وافتروا على أنبياء الله تعالى ووصفوهم بكل النقائص والرذائل البشرية كما رأينا. ولهذا فلا غرابة أن يعيشوا في صراع وفتن مع الشعوب غير اليهودية إلى يومنا هذا.

ففي القرن السابع الميلادي بالذات، أوقعوا بين المسيحيين في أنطاكية والقائد الفارسي فوكاس، مما ترتب عليه وقوع مذابح فظيعة في نصارى أنطاكية. وساعدوا جيوش الفرس في محاربة نصارى الشام وقتلوا بأنفسهم النصارى في الشام مثلما حدث في صور. وكان جزاؤهم أن عاقبهم هرقل ملك الروم عقوبة قاسية عندما علم بما ارتكبوه من مآسٍ في حق النصارى بالشام[٢٣٦].

لقد وصفهم القرآن الكريم وصفا دقيقا يصور ماكانوا عليه في القرنين السادس والسابع الميلاديين من تدهور خلقي وانحطاط نفسي وفساد اجتماعي جعلهم غير أهل لإمامة الأمم وقيادتها. ومن ذلك قول الله تعالى فيهم: ﴿... ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل، ويقولون على الله

---

(٢٣٣) البقرة: ٨٧.
(٢٣٤) البقرة: ٦١.
(٢٣٥) البقرة: ٩١.
(٢٣٦) المقريزي: الخطط المقريزية (٤/٣٩٢ ومابعدها).

الكذب وهم يعلمون﴾[٢٣٧].

وقد ذاق العرب في يثرب الويلات نتيجة لحرص اليهود على إثارة الفرقة والحروب بين الأوس والخزرج واحتكارهم التجارة وتسخير العرب في مصالحهم الاقتصادية. وعادوا الرسول ﷺ وكادوا له كيدا عظيما، ومكروا به كثيرا، ولكن الله مكر بهم وكانت مشيئة الله أن أجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة وأجلاهم عمر (رضي الله عنه) عن الجزيرة العربية تنظيفا للمجتمع الإسلامي من شرورهم وآثامهم[٢٣٨].

ب ـ جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المسيحية:

أولا : الحياة الدينية:

وكذلك المسيحية، فبالإضافة إلى ماحق بها من تحريف[٢٣٩]، فقد شابتها

---

(٢٣٧) آل عمران: ٧٥.

(٢٣٨) انظر تفاصيل مواقفهم من الدعوة الإسلامية في القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث وكتب السيرة القديمة والحديثة، مثل: سيرة ابن إسحق. وعيون الأثر في فنون المغازي والسير لابن سيد الناس، وفقه السيرة النبوية للشيخ محمد الغزالي، وفقه السيرة النبوية للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي.. الخ.
وسيأتي بيان ذلك في مكانه من الكتاب واقرأ الآيات ٤٠ ـ ٤٤ وما بعدها من سورة البقرة.
* إضافة إلى ما ذكره القرآن الكريم وماجاء في كتب السنة والمغازي والتاريخ القديمة من إشارة إلى هذا التحريف

(٢٣٩) قام الدكتور محمد أبوالغيط في بحثه الذي سبق الإشارة إليه بتحقيق تاريخ الأناجيل المعتمدة عند المسيحيين (وهي: إنجيل متى، مرقس، لوقا، يوحنا) ومدى صحة انتسابها إلى أصحابها، وخرج بنتيجة هامة يقول فيها:
«عرضنا فيما تقدم حديثا عن تاريخ الأناجيل المعتمدة عند النصارى ومقدار صلتها بأصحابها وتبين أن (متى) الحواري تكاد الصلة أن تنقطع بينه وبين الإنجيل الحالي، حيث دخلته شخصية مترجمة من العبرية إلى اليونانية ولم تتحقق بالضبط كما لم يتحقق الناقدون المدققون هل المترجم أضاف جديدا إلى ترجمته وأدخل فيها من الحواشي والتفسيرات ما أدخل أم أنه كان أمينا بصيرا في قيامه بالترجمة.
ثم إن فقدان الأصل العبري قبل ظهور الترجمة وإخفاء اسم ذلك المترجم ينقص كثيرا من وزن ذلك الإنجيل مع الترجيح بأنه من عمل أحد أتباع (متى) العشار كما سبق تحقيق ذلك.
كما تقرر أيضا أن (مرقس) لم يكن من الحواريين، وأنه كتب إنجيله عن معلمه (بطرس). وأن إنجيل (لوقا) لم يتعد أن يكون رسالة أخذ يسرد فيها وقائع الأحداث التي علمها ممن سبقه مستخلصة من حقائق مغلوطة بالتزييف مشوبة بالهوى تحتاج في استخلاصها إلى ضابط يقود زمام الفكر ودقة البحث مع فقدان الضابط فضلا عن كون (لوقا) ليس من الحواريين والتلاميذ مع كونه في الوقت نفسه تلميذا لبولس المتهم بتحريف الديانة النصرانية.
كما تبين لنا أيضا حال (يوحنا) والشك في كون الإنجيل من وضعه مؤكدا ذلك بالشواهد المذكورة عند الكلام عنه مع ميلنا إلى أنه من وضعه في أخريات حياته المشبعة بالفلسفة والفكر الهليني.
==

ألوان شتى من الوثنية والخرافات اليونانية والرومانية، اضمحلت في جانبها تعاليم المسيح الميسرة، وأصبحت على تعاقب العصور ديانة وثنية تحول بين الإنسان والعلم والفكر والمنطق. ومن الأدلة الواضحة على ذلك ما ذكره باكستر الأوروبي(٢٤٠)، والذي ترجمته:

«لقد انتهت الوثنية، ولكنها لم تلق إبادة كاملة، بل إنها تغلغلت في النفوس واستمر كل شيء فيها باسم المسيحية وفي ستارها، فالذين تجردوا عن آلهتهم وأبطالهم وتخلوا عنهم أخذوا شهيدا من شهدائهم ولقبوه بأوصاف الآلهة، ثم صنعوا له تمثالا. وهكذا انتقل هذا الشرك وعبادة الأوثان إلى هؤلاء الشهداء المحليين، ولم ينته هذا القرن حتى عمت فيهم عبادة الشهداء والأولياء، وتكونت عقيدة جديدة وهي أن الأولياء يحملون صفات الألوهية، وصار هؤلاء الأولياء والقديسون خلقا وسطا بين الله والإنسان، ويحمل صفة الألوهية على أساس عقائد الأريسيين، وأصبحوا رمزا لقداسة القرون الوسطى ووعيها وطهرها. وغيرت أسماء الأعياد الوثنية بأسماء جديدة، حتى تحول في عام ٤٠٠ ميلادي عيد الشمس القديم إلى عيد ميلاد المسيح».

وما ذكره الدكتور أبوالغيط(٢٤١) في كلامه عن الوثنية في المسيحية ختمه بقوله:

== وأضيف إلى ذلك أن حواري المسيح كانوا لا يفهمون في كثير من الأحيان إلا بالأمثال، لما كان يصطبغ به في كلامه بالرمزية في كثير من مخاطباته. فإذا أخذنا كل ذلك وغيره في اعتبارنا علمنا علم اليقين أن هذه الأناجيل بعيدة كل البعد عن الإلهام وليس بينها وبين السماء أدنى صلة، ويحق لنا بعد ذلك أن نقول: إن هذه الأناجيل لا تتصل بإنجيل المسيح إلا بخيط أوهى من خيط العنكبوت، وإنها لذلك ليست على شيء باستثناء فقرات مقتبسة من تعاليم المسيح أودعت هذه الأناجيل من ذكريات مؤلفيها لتكون شاهد حق ومعالم صدق للنبي الخاتم محمد ﷺ ولكتابه الكامل كتاب الله العزيز. وعقد ابن حزم الظاهري في كتابه (الملل والنحل، ج ١، ص ١١٦) فصلا عن المتناقضات الظاهرة والأكاذيب الواضحة في التوراة والأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى. فانظره.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلا: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وقصة الحضارة لديورانت... إلخ.

(٢٤٠) Rev. James Houstom Baxter: History of Christianity in the Light of Modern Knowledge, Glasgo, 1926, p.407.

وعن التجاذب بين الوثنية والمسيحية انظر مثلاً: تاريخ ابن بطريق، وأنوار الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني اسرائيل لرفاعة الطهطاوي، وإظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي وقصة الحضارة لديورانت.

(٢٤١) مرجع سبق ذكره، ص ٦٠

«.. وهكذا كانت عبادة الأوثان في عصور الاضطهاد هذه يرتفع سوقها وينخفض تبعا لتأييد النصارى للحكام الرومانيين وإقبالهم على تلبية رغباتهم في الولاء لتمثال القيصر، ومن يتباطأ عن ذلك كان مصيره الحرق والهدم والتدمير كما يقول بذلك التاريخ المسيحي كله، حتى طأطأت المسيحية رأسها أخيرا للوثنية وغطرستها بعد طول التجاذب والصراع بينهما. فحيثما دخلت المسيحية بلدا ووجدت أهلها مقيمين على الوثنية أقروهم على عبادتهم بالإضافة إلى المعتقدات المسيحية».

وابتدع النصارى الرهبانية، وأدخلوا في أناجيلهم ما لا تستسيغه الأفهام. فابن حزم ـ أحد رواد علم مقارنة الأديان ـ انتهى إلى نتائج خطيرة عندما درس المصادر الأصلية للمسيحية. ومن مناقشاته للنصارى في عقيدتهم قوله:

«.. وقالت (اليعقوبية) إن المسيح هو الله تعالى نفسه وإن الله ـ تعالى عن كفرهم ـ مات وصلب وقتل، وإن العالم بقي ثلاثة أيام بلا مدبر، والفلك بلا مدبر، ثم قام ورجع كما كان. وإن الله تعالى عاد محدثا وإن المحدث عاد قديما وإنه تعالى هو كان في بطن مريم محمولا به..».

«ولولا ان الله تعالى وصف قولهم في كتابه العزيز إذ يقول: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم..﴾ (المائدة/ ٧٢) وإذ يقول الله تعالى حاكيا عنهم: ﴿إن الله ثالث ثلاثة﴾ (المائدة/ ٧٣) وإذ يقول تعالى ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله﴾ (المائدة/ ١١٦)، لولا ذلك لما انطلق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج السخيف. وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون. ونعوذ بالله من الخذلان..».

ويقول في دحض هذا القول:

«.. ويلزم هؤلاء القوم أن يعرفونا من دبر السماوات والأرض، وأدار الفلك هذه الثلاثة الأيام التي كان فيها ميتا.. ثم يقال للقائلين بأن البارىء تعالى ثلاثة أشياء أب وابن وروح القدس. أخبرونا إذ هذه الأشياء لم تزل كلها وأنها مع ذلك شيء واحد إن كان ذلك كما ذكرتم فبأي معنى استحق

أن يكون أحدهما يسمى أبا والثاني ابنا وأنتم تقولون إن الثلاثة واحد وإن كان منها هو الآخر فالأب هو الابن والابن هو الأب وهذا هو عين التخليط. وإنجيلهم يبطل هذا بقولهم فيه: «سأقعد عن يمين أبي»، وبقولهم إن القيامة لا يعلمها إلا الأب وحده وإن الابن لا يعلمها، فهذا يوجب أن الابن ليس هو الأب.. وإن كانت الثلاثة متغايرة ـ وهم لا يقولون بهذا ـ فيلزمهم أن يكون في الابن معنى من الضعف أو من الحدوث أو من النقص، به وجب أن ينحط عن درجة الأب. والنقص ليس من صفة الذي لم يزل..»[٢٤٢].

وخلاصة قول ابن حزم[٢٤٣] في عقيدتهم التي جاءت في أناجيلهم: «فهذه سبعون فصلا من أناجيلهم من كذب بحت ومناقضة لا حيلة فيها، ومنها فصول يجمع الفصل من ثلاث كذبات فأقل على قلة مقدار أناجيلهم.

وجملة أمرهم في المسيح (عليه السلام) أنه مرة بنص أناجيلهم ابن الله ومرة هو ابن يوسف وابن داوود وابن الإنسان، ومرة هو إله يخلق ويرزق، ومرة هو خروف الله، ومرة هو في الله والله فيه، ومرة هو في تلاميذه وتلاميذه فيه، ومرة هو علم الله وقدرته، ومرة لا يحتكم على أحد ولا ينفذ إرادته، ومرة هو نبي وغلام الله، ومرة أسلمه الله إلى أعدائه، ومرة قد انعزل الله له عن الملك وتولاه هو وصار يولي أصحابه خطة التحريم والتحليل في السموات والأرض، ومرة يجوع ويطلب ما يأكل ويعطش ويشرب ويعرق من الخوف ويلعن الشجرة إذا لم يجد فيها تينا يأكله، ويفشل فيركب حماره ويأخذ ويلطم وجهه ويضرب رأسه بالقصبة، ويزق في وجهه ويضرب ظهره بالسياط ويميته الشرط، ويتهكمون به ويسقى الخل في الحنظل ويصلب بين سارقين ويسمر يداه ومات الساعة ودفن ثم يحيا بعد الموت ولم يكن له هم إذا حيي بعد الموت واجتمع بأصحابه إلا طلب ما يأكل فأطعموه الخبز والحوت المشوي، وسقوه العسل، ثم انطلق إلى شغله..».

(٢٤٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ١، ص ٤٩ وما بعدها.
(٢٤٣) المصدر نفسه، ج ٢ ص ٦٩.

ثم أخذ ابن حزم في بيان الكذب والكفر والهوس الذي جاء في كتبهم غير الأناجيل[٢٤٤] إن هذا المآل الذي آلت إليه المسيحية واليهودية، اقتضى أن يرسل الله رسولا آخر، هو محمد بن عبدالله (عليه الصلاة والسلام)، لإنقاذ البشرية من هذا الضلال، ويكون الدين الخاتم لكل البشرية بعد أن أعدت لتلقيه.

ثانيا: الحياة السياسية والاجتماعية في المجتمعات النصرانية:

حل القرن السادس الميلادي والحرب قائمة بين نصارى الشام والدولة الرومانية وبين نصارى مصر، أو بين الملكانية - التي يمثلها حزب الدولة - والمنوفيسية - التي يمثلها حزب القبط - بعبارة أخرى، وذلك لاختلافهم حول حقيقة وطبيعة المسيح (عليه السلام) إذ يعتقد الملكانية في ازدواج طبيعة المسيح بينما يعتقد المنوفيسيون أن للسيد المسيح طبيعة واحدة. وأصبح العالم المسيحي في شغل بنفسه عن محاربة الفساد والإصلاح ودعوة الأمم إلى الخير. وابتلي القبط بمصر لاعتقادهم المخالف لاعتقاد الدولة[٢٤٥].

وفي الدولة الرومانية الشرقية - بالذات - ساءت أحوال الناس حتى فضلوا الحكومات الأجنبية على حكوماتهم. وقامت فتن وثورات. وقد هلك في عام ٥٣٢م - مثلا - في اضطراب واحد ثلاثون ألف شخص في القسطنطينية[٢٤٦] وأمعنوا في أساليب التسلية التي وصلت إلى حد الوحشية[٢٤٧].

وفي مصر البيزنطية ساد الاضطهاد الديني والاستبداد السياسي والبؤس والفقر إذ كانت شاتهم الحلوب التي يحسنون حلبها ويسيئون علفها. ولم ينقذ المصريين من هذا الحال إلا المسلمون، كما يعترف بذلك من ينتسبون إلى النصرانية، أمثال غوستاف لوبون[٢٤٨]

---

(٢٤٤) انظر ذلك في: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج ٢ / ٦٩ وما بعدها.
(٢٤٥) انظر: بتلر: فتح العرب لمصر: تعريب محمد فريد أبوحديد، ص ص ٣٧ - ٣٨، ٤٧.
(٢٤٦) انظر: دائرة المعارف البريطانية، مادة: جستنيان.
(٢٤٧) انظر: إدوارد جيبون: إنحطاط الدولة الرومانية وسقوطها - ترجمة محمد علي أبودرة ص ص ٣ - ٥.
(٢٤٨) حضارة العرب، تعريب عادل زعيتر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٥٨.

وفي سورية البيزنطية سادت المظالم إلى الحد الذي اضطر كثيراً من السوريين لبيع أبنائهم ليوفوا ديونهم(٢٤٩).

أما الأمم الأوروبية في الغرب والشمال فكانت تعيش حروبا دامية وجهلا مطبقا وغلوا في الدين. وكانوا يبحثون في قضايا مثل: هل المرأة حيوان أم إنسان، وهل لها روح خالدة أم لا؟ وهل لها حق الملكية والبيع والشراء؟.. إلخ(٢٥٠).

جـ ـ جوانب من الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

أولا: الحياة الدينية:

لقد شاع في إيران قبل ظهور زرادشت(٢٥١)، الاعتقاد بألوهية «ميثرا» و«يما» و«آشاه»، وظل ذلك حتى بعد ظهور الزرادشتية، التي تأثرت بهذه الديانة الوثنية القديمة، التي تقدس بعض العناصر الطبيعية، مثل: النار والكواكب، ويعبد فيها آلهة متعددة.

أما الزرادشتية في أصلها فقد كانت حربا على عقيدة ميثرا ويما وآشاه، تلك العقيدة الوثنية(٢٥٢)، إذ كان من أبرز مبادىء الزرادشتية دعوة الناس إلى عبادة إله واحد وهجر الوثنية والصابئية التي كانت تتمثل في عبادة بعض الكواكب وغيرها من القوى الطبيعية(٢٥٣)، والدعوة إلى تقديس عنصري الشمس والنار على أنهما رمزان لتلك القوة الواحدة التي لا تفتأ تفيض رحمة ونورا وعطفا وطهوراً وتعمل على إنقاذ الإنسان من البلاء(٢٥٤)، وتقديس التراب والماء والهواء لأهميتها

---

(٢٤٩) انظر: محمد كردعلي: خطط الشام، (١/ ١٠١).

(٢٥٠) السيرة النبوية، ص ص ١٨ ـ ١٩، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٤.

(٢٥١) هو نبي قدماء الايرانيين. انظر سيرته في كتاب: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٧٧ ـ ٨٠)، وكتاب: زرادشت الحكيم نبي قدامي الإيرانيين، حياته وفلسفته لحامد عبدالقادر، الكتاب رقم (١) من سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، نشر مكتبة نهضة مصر ومطبعتها، القاهرة ١٣٧٥هـ/ ١٩٥٦م. وخلاصة القول فيها عنده أن الزرادشتية لم تكن في الأصل وثنية، بل كانت توحيدية تؤمن بإله واحد وتكفر بالشيطان وتؤمن بالثواب والعقاب وتدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (انظر بالذات الفصل الثالث عشر، ص ص ٧٩ ـ ١١٠) الديانة الزرادشتية) وانظر كذلك: الطبري: التاريخ (١/ ٥٤٠ ـ ٦١).

(٢٥٢) انظر الشهرستاني (٢/ ٧٧) وانظر: زرادشت الحكيم: المرجع نفسه، ص ٨٠.

(٢٥٣) المرجع والمكان نفساهما.

(٢٥٤) المرجع نفسه، ص ٨٦.

في حياة الإنسان.

وبعد موت زرادشت، ظهرت فرقة المجوس[٢٥٥] الذين يعبدون النار ويرونها إلهًا ويستعملونها في شعائرهم الدينية متناسين أنها كانت فقط رمزا للضعفاء، حتى أصبحوا يعرفون بأنهم عبدة النار، وأحيانا كهنة المجوسية. ومن الطقوس التي كانت موجودة من قبل زرادشت: عبادة الأصنام وتقديم القرابين، وبخاصة للإله (ميثرا) الذي أصبح أبرز الآلهة[٢٥٦].

ولما غزا الإسكندر المقدوني بلاد إيران في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، اختفت الزرادشتية ولم تظهر إلا بعد خمسة قرون عندما قامت الدولة الساسانية التي حاولت العودة إلى الزرادشتية باعتبارها جزءا من تراث إيران، ولكن الزرادشتية الساسانية كانت بعيدة كل البعد عن اتجاهات زرادشت، وكانت تحقق أهداف الملوك وطغيان الكهنة[٢٥٧].

وفي القرن الثالث قبل الميلاد ظهر «ماني» بمذهبه الذي كان مزيجا من الزرادشتية والمسيحية والديصانية[٢٥٨] وعده الزرادشتيون ملحدا خارجا عن الزرادشتية الدين الحق ـ أي عدوه زنديقا ـ لأن ديانته ثنوية صريحة، إذ تقول بوجود كائن ثنائي الطبيعة، وبوجود مبدأ أو كائنين يسيطران على العالم، هما: مبدأ النور ومبدأ الظلام. الأول مصدر الخير والثاني مصدر الشر، ولكل منهما قدرة على الإدراك[٢٥٩]. وعند امتزاج هذين الكائنين نشأ الكون بما فيه من ظواهر وحوادث وأجسام كثيفة وكائنات حية.[٢٦٠] ويرون أن كل من يساعد على إطالة أمد امتزاج النور بالظلام هو شر كله، وفي مقدمة ذلك: الزواج والتناسل، ولذلك رأوا أن من والواجب أن يسلك الإنسان مسلك العزلة

(٢٥٥) يفرق حامد عبدالقادر بين الزرادشتية والمجوسية تفريقا واضحا تميز به عن كثير غيره ممن كتب عن الديانات الإيرانية القديمة (انظره في ص ص ١١٥ ـ ١١٨).

(٢٥٦) انظر: آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين ـ ترجمة يحيى الخشاب، ص ص ١٩ ـ ٢٩، والدكتور أحمد شلبي: الإسلام ـ سلسلة مقارنة الأديان رقم (٣)، ص ٤١.

(٢٥٧) المرجع نفسه، ص ص ٤١ ـ ٤٢.

(٢٥٨) نسبة إلى واضع أسسها ابن ديصان ـ سيأتي ذكرها ـ.

(٢٥٩) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨١) وما بعدها، وانظر: زرادشت، المرجع السابق، ص ١٢٥، الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية للدكتور/ عبدالله سلوم السامرائي. رسالة ماجستير مطبوعة ـ دار الحرية للطباعة ـ بغداد ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ٢٤.

(٢٦٠) الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٤)؛ زرادشت، المرجع السابق، ص ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

والرهبنة وأن يقطع دابر التناسل حتى يفنى العالم المادي ويتخلص النور من الظلام.

وفي سنة ٢٧٦م، قتله الملك الإيراني (بهرام بن هرمز بن شابور)، وقال عنه: «إن هذا الرجل قد جاء يدعو الناس إلى تدمير الكون، فالواجب أن يبدأ بتدمير نفسه»(٢٦١).

وعلى الرغم من هذا الاضطهاد استمرت المانوية وتحولت إلى حركة سرية، وبقيت كذلك في الفترة الإسلامية(٢٦٢).

وظهر مزدك في أواخر القرن الخامس الميلادي (٤٧٨ م) وسار على تعاليم ماني، معلنا شيوعية المال والنساء(٢٦٣).

وأخذ الملك الإيراني قباذ بآراء مزدك وطبقها في المجتمع في السنوات العشر الأولى من حكمه، وعندما وقف على بطلانها وحقيقتها تحول عنها وقتل مزدكاً وأوقع بأنصارها سنة ٥٢٩م، فتحولوا إلى العمل السري أيام الدولة الساسانية. ثم عادت إلى الظهور من جديد في العصور الإسلامية(٢٦٤).

وظهرت في إيران كذلك الديانة المرقونية - نسبة إلى واضع أسسها «مرقيون»(٢٦٥) وعقيدتها ثنوية، لزعمهم أن النور خالق الخير والظلمة خالقة الشر(٢٦٦). وتأثرت بالزرادشتية والمسيحية.

وكذلك ظهرت في إيران الديانة الديصانية. وهي من الديانات الثنوية. وذهبت إلى ما ذهبت إليه المرقونية من وجود عالم ثالث إضافة إلى النور والظلمة، مهمته أن يفصل بين عالم النور وعالم الظلمة، ولم توضح كيفية وجود

---

(٢٦١) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨١)، زرادشت: المرجع نفسه، ص ص ١٣٠ - ١٣٢، الإسلام لأحمد شلبي، مرجع سبق ذكره، ص ٤٢، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ١٦٩ - ١٩٥ الفصل الذي بعنوان: النبي ماني ومذهبه»، وهو الفصل الرابع.

(٢٦٢) انظر طرفا من سيرتها في هذه الفترة في كتاب: الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ص ٢٤ - ٢٥ وانظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦).

(٢٦٣) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦)، والغلو والفرق الغالية، ص ٢٥، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٤٨ - ٤٩. الدكتور شلبي: الإسلام، ص ص ٤٢ - ٤٣.

(٢٦٤) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦) والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، ص ٢٦.

(٢٦٥) انظر: الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦) والغلو والفرق الغالية المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٢٦٦) الشهرستاني: المرجع والمكان نفسيهما، الغلو والفرق الغالية، المرجع والمكان نفسيهما.

هذا العالم الثالث[٢٦٧]. وابن ديصان الذي تنسب إليه هذه النحلة أول من مهد لفكرة الحلول، حيث زعم أن نور الله قد حل قلبه[٢٦٨].

ثانيا: الحياة السياسية والاجتماعية في ظل المجوسية:

لقد شاع الفساد في إيران في ظل دياناتها الوثنية القديمة التي سبقت الزرادشتية، خاصة سكان البادية، فقد كان بعضهم يعتدي على بعض بالسلب والنهب وإزهاق الأرواح[٢٦٩].

وعندما جاءت الزرادشتية حاولت القضاء على هذه المفاسد، ولكن إلى حين، وذلك لظهور عقائد أخرى مثل المانوية، والمزدكية.

وفي ظل المجوسية المنبثقة عن الزرادشتية، وفي ظل بقايا المانوية والمزدكية والديانات الإيرانية القديمة عاشت إيران في فوضى أخلاقية وتشتت عقدي وحروب دامية داخلية، وخارجية. فكثيرا ما كان مقدسو النار يهزمون عبدة المسيح وينهبون أموالهم ويأسرون منهم. وأحيانا كانت الدائرة تدور على الفرس ـ الإيرانيين ـ فيغلبهم الروم.[٢٧٠].

وكان المجوس من الفرس لا يعبدون الإله الحق، ولم تتمكن الأخلاق الفاضلة في نفوسهم. وكان الأكاسرة يضطهدون الفرق الدينية المخالفة لهم في العقيدة.

ومن الممارسات الاجتماعية البارزة استحلال الزرادشتيين زواج المحارم، وقالوا «الابن أحرى بتسكين شهوة أمه، وإذا مات الزوج فابنه أولى بالمرأة»[٢٧١] ولذلك تزوج ملكهم يزدجرد الثاني ـ حكم في أواسط القرن الخامس الميلادي ـ ابنته، ثم قتلها. وان بهرام جوبين ـ الذي ملك في القرن السادس الميلادي ـ كان متزوجا بأخته[٢٧٢]

---

(٢٦٧) انظر الشهرستاني: المرجع نفسه، (٢/ ٨٨)، والغلو والفرق الغالية، ص ص ٢٢ ـ ٢٣.
(٢٦٨) انظر الشهرستاني: المرجع نفسه (٢/ ٨٨ ـ ٨٩)، والغلو والفرق الغالية، ص ٢٣.
(٢٦٩) انظر حامد عبدالقادر: زرادشت الحكيم ص ٢٣.
(٢٧٠) انظر ابن كثير: التفسير (٦/ ٣٠٥ وما بعدها) في تفسير الآيات ١ ـ ٧ من سورة الروم، زرادشت الحكيم المرجع نفسه، ص ١٣٨.
(٢٧١) الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية، مرجع سبق ذكره، ص ٢١.
(٢٧٢) انظر الطبري: تاريخ الرسل والملوك (٢/ ١٧٨)، وماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٧. آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ٣٠٩ ـ ٣١١.

وحظيت الدعوة المزدكية بتأييد الشباب والأغنياء والمترفين والطبقة العامة لما صادفته من هوى في نفوسهم، وحظيت بتأثير الحاكم كما قلنا لفترة، مما كان له أكبر الأثر في نشاطها. وانغمست إيران بتأثيرها في الفوضى الخلقية[٢٧٣].

وكان للإيرانيين اعتقاد في البويتات الروحية والأشراف من قومهم، إذ يرونهم فوق العامة في طينتهم، وفوق مستوى الناس في عقولهم ونفوسهم، ويمنحونهم سلطة روحية لا حدّ لها، ويخضعون لها خضوعا كاملاً.

وكان العامة كذلك طبقات متميزة بعضها عن بعض تمييزا واضحا. وكان لكل طبقة مركز محدد في المجتمع[٢٧٤].

وكانوا يبالغون في تمجيد القومية الفارسية، ويرون أن لها فضلا على سائر الأجناس والأمم، وأن الله قد خصها بمواهب ومنح لم يشرك فيها أحدا. وكانوا ينظرون إلى الأمم من حولهم نظرة ازدراء وامتهان، ويلقبونها بألقاب تدل على هذه النظرة[٢٧٥].

ولما كانت النار لا توحي إلى عبادها بشريعة، ولا ترسل رسلا، ولا تتدخل في شؤون حياتهم، ولا تعاقب العصاة المجرمين، فقد أصبحت الديانة عند المجوس ـ الذين حرفوا الزرادشتية الأصلية ـ عبارة عن طقوس وتقاليد تؤدى في أمكنة خاصة وفي ساعات خاصة. أما خارج المعابد، وفي دورهم وأماكن أعمالهم وفي الشارع وفي السياسة والاقتصاد والاجتماع وغير ذلك، فقد كانوا أحرارا، يسيرون على هواهم شأن المشركين في كل عصر[٢٧٦].

وهكذا حرمت الأمة الفارسية في حياتها ـ في ظل المجوسية ـ دينا عميقا جامعا

---

(٢٧٣) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٨٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٤٩، وانظر: الدكتور شلبي الإسلام، ص ٤٢، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين، ص ص ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢٧٤) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٠ ـ ٥١، آرثر: المرجع السابق، ص ص ٣٠٢ ـ ٣٠٧.

(٢٧٥) انظر الطبري: التاريخ (٣/ ٥٢٠، ٥٢٢، ٥٢٣)، الندوي: ماذا خسر العالم ص ٥٢.

(٢٧٦) انظر الشهرستاني: الملل والنحل (٢/ ٩٢ ـ ٩٣)، وماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص ص ٥٢ ـ ٥٣.

يكون مربيا ومهذبا على عمل الخيرات، ويكون نظاما لكل أنشطة الإنسان والمجتمع والدولة، وحائلا بين الناس وطغيان الحكام[٢٧٧]. وهو ما وجدوه في ظل الإسلام.

وحرمت حكما رشيدا لقمع الفساد، بل كان ملوكها عنصرا أساسيا من عناصر الإفساد، لأنهم تألهوا عندما لم يعبد الناس الإله الحق. وتنافسوا على العرش حتى إن ستة منهم تولوا العرش في أشهر قليلة، وبذلك تدهورت حتى قيمة العرش وأصبحت كل موارد البلاد ملكا لملوكها الذين وصل بهم الترف والبذخ إلى حد خرافي، ومثال ذلك أن يزدجرد، آخر ملوكهم، عندما فر أمام الفتح الإسلامي، كان معه ألف طاه وألف مغن وألف قيم على النمور وألف قيم على البزاة، وحاشية أخرى، ومع ذلك كان يعتبر نفسه لاجئا حقيرا في حالة يرثى لها من قلة الحاشية وفقدان أسباب التسلية[٢٧٨]. وعاش الشعب في بؤس وشقاء تثقل كاهله الضرائب والحروب[٢٧٩].

د ـ جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الصينية:

أولا: الحياة الدينية:

كانت تسود الصين في القرن السادس الميلادي ثلاث ديانات. ديانة لاتسو[٢٨٠] وديانة كونفوشيوس والبوذية. أما الأولى فقد كانت وثنية، تعني بالنظريات أكثر منها بالعمليات. وعاش أتباعها زاهدين رهبانا، فانفض عنها إلى غيرها الذين جاءوا بعد مؤسسها[٢٨١].

وأما كونفوشيوس فقد كان يعنى بالأمور العملية أكثر من النظريات، ولكن انحصرت تعاليمه في شؤون الدنيا. وكان أتباعه لا يعتقدون ـ في بعض

---

(٢٧٧) انظر: ماذا خسر العالم، المرجع نفسه، ص ٥٣.

(٢٧٨) الندوي: السيرة النبوية ص ١٤، آرثر كريستنسن: إيران في عهد الساسانيين.

(٢٧٩) انظر الطبري: التاريخ (٢/ ١٥٠)، وآرثر المرجع نفسه، ص ١٩٦ وما بعدها ـ الفصل الخامس.

(٢٨٠) ويرسمها بعضهم (لاوتي) و«لوتس» ـ انظر في هذا الإسلام للدكتور شلبي مرجع سبق ذكره، ص ٤٣. ولاوتسو أسنّ من كونفوشيوس بنحو خمسين سنة. وقد تقابلا وتدارسا بضع مشكلات (انظر المرجع والمكان نفساهما).

(٢٨١) انظر الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٣.

الأزمنة ـ بعبادة إلهٍ معين، ويعبدون ما يشاؤون من الأشجار والأنهار[٢٨٢]. واتجهوا إلى كونفوشيوس يبنون له الهياكل ويعبدونه، ويقدمون أمام تماثيله الذبائح والقرابين ويركعون لها.

وشاعت في الصين قبيل الإسلام عبادة الأرواح وبخاصة عبادة أرواح الآباء والأجداد، إذ كانوا يعتقدون أن هذه الأرواح تعيش معهم بعد وفاة أصحابها[٢٨٣].

وأما البوذية الصينية فقد فقدت حتى القدر القليل جدا من بساطتها، وابتلعتها البرهمية الثائرة الموتورة فتحولت وثنية تحمل معها الأصنام حيث سادت، وتبني الهياكل وتنصب تماثيل بوذا حيث حلت. وغمرت هذه التماثيل الحياة الدينية والمدنية التي ظهرت في عهد ازدهار البوذية[٢٨٤]. وتسربت إلى مناهج الحياة والعبادة السحر والأوهام، وبدأت تتقهقر وتنحط بعد أن سادت ألف سنة[٢٨٥].

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

ليس في الديانات الصينية، الكونفوشيوسية أو التي سبقتها نور من يقين ولا باعث من إيمان ولاشرع سماوي يحلون به مشاكل العالم، وإنما هي حكم حكماء وتجارب خبراء، يستفيد بها الإنسان إذا شاء، ويرفضها إذا شاء[٢٨٦]. ونتج عن ذلك ـ مثلا ـ تمجيد الذكور كما كان يفعل العرب في جاهليتهم، فعندما يبشر الصيني بالذكر يعلق القوس والنشاب على الباب، دليل مولد الذكر الذي يحمي العشيرة، أما إذا بشر بالأنثى علق على بابه مغزلا، دليل الخنوع والضعف[٢٨٧].

---

(٢٨٢) المرجع والمكان نفساهما.
(٢٨٣) الدكتور شلبي: الإسلام، ص ٤١.
(٢٨٤) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٣ ـ ٥٤، الدكتور شلبي: الإسلام، ص ٤١.
(٢٨٥) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤ ـ ٥٥.
(٢٨٦) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٣ ـ ٥٥، الدكتور شلبي: الإسلام، ص ٤٤.
(٢٨٧) الدكتور شلبي، الإسلام، ص ص ٤٤ ـ ٤٥.

وفي ظل البوذية الصينية قامت دول تعنى بمظاهر الآلهة وعبادة التماثيل. وتغير محيط الروابط الأخوية البوذية وظهرت البدع والخزعبلات ولم تمنع الفلسفة الكونفوشيوسية وجود نظام طبقي اجتماعي، وإن كان أقل حدة من النظام الطبقي البوذي الذي ساد في الهند كما سنرى في الصفحة التالية(٢٨٨).

هـ - جوانب من الحياة الدينية والاجتماعية في ظل الديانات الهندية:

أولا: الحياة الدينية:

سادت في الهند الديانة البرهمية التي عبد أتباعها القوى المؤثرة في الكون، والتي جسدوها ثم اعتقدوا حلولها في بعض الأجسام، فعبدوا الأصنام لحلولها فيها. وتعددت آلهتهم. ثم حل بعقائدهم التغيير والتبديل حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم. براهما وسيفا أو سيو ويشنو(٢٨٩).

ومن بعد البرهمية سادت البوذية في الهند. والبوذية لم تعن بالبحث عما وراء الطبيعة، بل كانت عنايتها تتجه إلى الإصلاح الاجتماعي عن طريق رياضة الإرادة على الحرمان، وتعويدها السيطرة والرغبة في الملاذ لكيلا تشقى بطلبها ويحز فيها الحرمان(٢٩٠).

وعلى الرغم من ذلك، وبمرور الزمن، أظلت الأفكار العليلة تعاليم بوذا الخلقية، حتى توارت وراء التخيلات السقيمة بسبب الترقيعات الكلامية والتنطعات. وانحطت البوذية كما انحطت البرهمية ودخلت فيها العادات الساقطة، وأصبح من العسير التمييز بينهما. لقد اندمجت البوذية في البرهمية وذابت فيها(٢٩١).

وسادت الوثنية المجتمع الهندي بأسره حتى وصل عدد الآلهة حدا خرافيا،

---

(٢٨٨) المرجع نفسه، ص ٤٥، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤. ومرجع الندوي هنا هو كتاب الهند القديمة - بالأردو - للأستاذ إيشو أتوبا. وعن النظام الطبقي في الفلسفة الكونفوشيوسية، انظر كتاب: كونفوشيوس للدكتور حسن شحاتة سعفان - سلسلة قادة الفكر في الشرق والغرب، رقم (٢)، ص ص ٧٦ - ٨٣.

(٢٨٩) انظر محمد أبوزهرة: الديانات القديمة، ص ص ٢٧ - ٢٨.

(٢٩٠) انظر: المرجع نفسه، ص ص ٧٧ - ٧٨. وعن البوذية راجع المرجع نفسه ص٥٣ وما بعدها، الندوي: السيرة النبوية، ص ٦، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٤ - ٥٥.

(٢٩١) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ص ص ٥٤ - ٥٥.

ووجدت في كل مرفق ومن كل نوع. فمنها أشخاص تاريخية وأبطال تمثل فيهم الله ـ حسب زعمهم ـ وجبال تجلس عليها بعض آلهتهم، ومنها معادن كالذهب والفضة تجلى فيها إله، ومنها نهر الكنج وآلات الحرب والكتابة وآلات التناسل وحيوانات أعظمها البقرة، والأجرام الفلكية[٢٩٢].

ثانيا: الحياة الاجتماعية:

اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذي يبتدىء من مستهل القرن السادس الميلادي. إذ انتشرت فيه المفاسد حتى في المعابد الدينية. وعبد بعض رجال الفرق الدينية النساء العاريات، وعبدت النساء الرجال العراة[٢٩٣]. ولم تعد للمرأة قيمة أو كرامة، حتى أن الرجل ليخسر امرأته في القمار، ولا تتزوج بعد وفاة زوجها. وانتشرت عادة إحراق الأيامى نفوسهن على وفاة أزواجهن، خاصة في الطبقات العليا[٢٩٤]، وأنزلت النساء في هذا المجتمع منزلة الإماء[٢٩٥].

وقامت فلسفتهم الدينية على تقسيم المجتمع إلى أربع طبقات، وهي:

١) البراهمة ـ الكهنة ورجال الدين.
٢) شترى ـ رجال الحرب.
٣) ويش ـ رجال الزراعة والتجارة.
٤) شودر ـ رجال الخدمة ـ خدمة الطبقات الثلاث.

وهذه الطبقة الأخيرة تعد نجسة، لا تخالط ولا تتعلم حتى الكتب المقدسة[٢٩٦]. وكفارة قتل الكلب والقطة والضفدعة والغراب والبومة ورجل

---

(٢٩٢) المرجع نفسه، ص ص ٥٦ ـ ٥٧.
(٢٩٣) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٥٨ ـ ٥٩.
(٢٩٤) المرجع نفسه، ص ص ٥٩ ـ ٦٠، السيرة النبوية، ص ١٥، الديانات القديمة، ص ص ٤٥ ـ ٤٦.
(٢٩٥) الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ص ٦٠ ـ ٦١.
(٢٩٦) المرجع نفسه، ص ٦٠ ومصدره في هذا «منوشا ستره» أي قانون منو ـ مؤلف هذا القانون.

الطبقة المنبوذة سواء[٢٩٧]. أما البراهمة فهم فوق القانون ويحل لهم إبادة الآخرين[٢٩٨]. هذا الفساد والضياع الذي عاشه العالم في الجزيرة العربية وخارجها كان يقتضي إرسال رسول، فأرسل الله سبحانه محمداً ﷺ للناس كافة عربهم وعجمهم لينقذهم من هذا الضياع والانحراف، ويخرجهم من الظلمات إلى النور.

(٢٩٧) انظر: تفاصيل أكثر عن الشقاء الذي كان يرسف في أغلاله هؤلاء الناس، في كتاب الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. وعن امتيازات طبقة البراهمة انظر المرجع نفسه، ص ٥٩ ومصدره: منوشاستر.

(٢٩٨) المرجع نفسه، ص ص ٥٨ - ٥٩ - ٦٠.

obeikandl.com